مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان

الدكتور فاروق الدسوقي

حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية



[illegible] الإسلام

مكتبة فرقد الخاني


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان

تأليف

الدكتور فاروق أحمد الدسوقي
أستاذ العقيدة والثقافة الإسلامية
المساعد بجامعة الملك سعود

المكتب الإسلامي
بيروت

مكتبة فرقد الخاني
الرياض

الطبعة الثانية
١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ ـ هاتف ٤٥٠٦٣٨ ـ برقياً: اسلاميا
دمشق: ص.ب ٨٠٠ ـ هاتف ١١١٦٣٧ ـ برقياً: اسلامي

مكتبة فرقد الخاني
الرياض

مقدمة



بالرغم من نجاح الانسان في معرفة الاشياء المادية وتقدم العلوم التجريبية ونموها المطرد، إلا أن هناك تسليماً عاماً بين علماء هذه العلوم من جهة وبين علماء المنطق ومناهج البحث من جهة أخرى، بأن الانسان عاجز عن معرفة حقيقة الشيء سواء كان مادياً أو غير مادي، وأن الذي يجنيه الانسان من المعرفة والعلم انما هو ادراك خصائص الشيء وأحواله وليس حقيقته.

فاذا حاولنا معرفة الانسان ذاته، فاننا نواجه ذاتاً خارجة عن اطار المادة مما يجعل ادراكها أمراً صعب المنال ومعرفة حقيقة هذه الذات مطلباً يكاد يكون مستحيلا.

ومع ذلك فإن هذا لن يمنعنا عن معرفة خصائص الانسانية، وبالذات الخاصية الجوهرية التي يتميز بها الانسان عن سائر المخلوقات الاخرى ولكي تكون المفاهيم التي نحاول الوصول اليها اسلامية خالصة فلا بد أن يكون مرجعنا أولا وأخيراً الى مصدري الاسلام: القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

كما يتعين علينا ـ لدراسة الانسان في الاسلام ـ أن نعرف علاقة الانسان بالزمان، وهذا هو موضوع المحاضرة الثانية. وذلك لان الزمان والمكان هما الاطاران اللذان يوجد فيهما كل مخلوق، ولان الانسان أحد أفراد العالم وجزء منه.

ثم نحاول بعد ذلك معرفة طبيعة الانسان الاولى التي خلقه وفطره الله عز وجل من خلال الفطرة الذي هو عنوان المحاضرة الثالثة.

أما علاقة الانسان بغيره من الكائنات الوجودية بينها، فسنحاول معرفته من خلال حقيقة الخلافة وذلك في المحاضرة الرابعة. وأخيراً نبحث عن المميز الجوهري للانسان الذي سيضع أيدينا على سر الانسانية وذلك نتيجة دراستنا لموضوع الامانة في المحاضرة الخامسة.

الدكتور فاروق الدسوقي

المحاضرة الاولى

الانسان والزمان

موضوع هذه المحاضرة هو السؤال التالي:

متى يبدأ وجود الانسان ومتى ينتهي هذا الوجود؟

الاجابة على هذا السؤال هي أحد الاختلافات الجوهرية بين الاديان السماوية بعامة والدين الاسلامي بخاصة من جهة وبين العقائد والاتجاهات المادية من جهة أخرى. وذلك لان العقيدة في الاديان السماوية تقوم على الايمان بالغيب، وهو يقتضي الايمان باليوم الآخر، بينما ينكر الماديون وجود اليوم الآخر أو استمرار الوجود الابدي للانسان في دار الخلود، ومن ثم جاءت اجابتهم على النحو التالي:

ان وجود الانسان يبدأ بميلاده، أو على أبعد تقدير منذ بدأ تكوينه كجنين في رحم أمه، وينتهي هذا الوجود بموته حيث يتحلل الميت ويعود الى مواده التي تكون منها جسده من قبل ومن ثم يصبح الانسان الفرد ــ بعد موته ــ عدماً أو بتعبير آخر يصبح لا شيء.

وجدير بالذكر أن الماديين (ونعني في عصرنا هذا: الماركسيين والملاحدة والوجوديين والعلمانيين وغيرهم من أصحاب الفلسفات والعقائد المنكرة للغيبيات) ليسوا أصحاب عقيدة حديثة كما يظن البعض بل أن عقيدتهم قديمة قدم الكفر والشرك في البشرية وكان منهم الدهريون الذين عاشوا قبل الاسلام في جزيرة العرب حيث كانوا يعللون الحياة بقول قائلهم: ان هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وقد عبر القرآن الكريم عن عقيدتهم بقولهم: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾[١] وقال تعالى أيضاً: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾[٢].

تلك هي الاجابة المادية قديماً وحديثاً بالنسبة لهذا السؤال، أما بالنسبة للاجابة الاسلامية فانها تختلف كلياً وجذرياً عن اجابة الماديين السابق ذكرها.

وقبل محاولة استخلاص هذه الاجابة من القرآن الكريم، يجدر بنا أن نفرق أولا بين مفهوم كل من الوجود والعدم من جهة، وبين مفهوم كل من الحياة والموت من جهة أخرى، ذلك أن الوجود هو نقيض العدم وليس الوجود نقيض الموت. كما أن الموت نقيض الحياة، ولا يعتبر العدم نقيضها.

---

(١) سورة المؤمنين: آية ٣٧.

(٢) سورة الجاثية: آية ٢٤.

فاذا تذكرنا أن السؤال عن بدء وانتهاء وجود الانسان وليس عن بدء وانتهاء حياته فإننا نكون قد أزلنا لبساً عن الاذهان يقع فيه كثير من الناس.

يقدم لنا القرآن الكريم الاجابة على هذا السؤال والتي تحدد علاقة الانسان بالزمان بآيتين كريمتين. يقول المولى عز وجل في الاولى:

﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾(١) وفيها يخبرنا الله عز وجل أن الإنسان يمر عبر عدة مراحل وجودية:

الاولى: وصف فيها الله الانسان بأنه كان موجوداً في حالة موت، وذلك حين قال: ﴿وكنتم أمواتاً﴾ لان فعل الكينونة بصيغة الماضي «كنتم» يفيد وجوداً سابقاً للانسان على وجوده الحالي، ولان العدم أيضاً هو نفي للكون أو للوجود، وقد أثبت الله العدم للانسان قبل خلقه في حالة الموتة الوجودية الأولى فقال: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً..﴾(٢)؟ فقوله تعالى ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ نفي لوجود الإنسان قبل خلقه. ومعنى ذلك أن الله عز وجل لم يخلق الإنسان حياً أولاً وإنما خلقه ميتاً أو على صورة موت أو في حالة موت ثم أحياه من بعد الموت فقال﴿ وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ أي هذه الحياة التي نحياها الآن، وعلى ذلك فالحياة التي نحياها الآن هي المرحلة

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٨.

(٢) سورة الإنسان: آية ١.

الوجودية الثانية، وليست المرحلة الوجودية الأولى أي أن الموت يسبق الحياة، وليس كما يظن كثير من الناس. يدل على ذلك و يؤكده :-

إن الموت والحياة لم يجتمع ذكرهما في آية إلا جاء الموت أولاً، كما يدل ذلك قوله تعالى صراحة بما يفيد خلق الموت قبل خلق الحياة ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ﴾[1].

فالمراحل الوجودية للانسان اذن موت ثم حياة ثم موت ﴿ ثم يميتكم ﴾ فالمرحلة الثالثة هي الموتة الثانية، وهذه الحالة التي ينتقل اليها الانسان هي وجود برزخي حيث لا يكون الانسان في الدنيا كما لا يكون في الآخرة وهي بلا شك حالة وجودية وليست عدماً وقد أسماها الله موتاً مما يدل على أن الموت الاول الذي خلق الله عليه الانسان هو وجود وليس عدماً.

بعد ذلك تأتي المرحلة الوجودية الرابعة ﴿ ثم يحييكم ﴾ وهي الحياة الثانية أو بداية الحياة الآخرة. ثم بعد ذلك الرجوع الى الله عز وجل للحساب ثم الخلود في الجنة أو الخلود في النار فالانسان اذن منذ خلقه يجتاز و يعبر هذه المراحل الوجودية المتمثلة في موتين وحياتين قال تعالى في

الآية الكريمة الثانية التي تجيب على سؤالنا الرئيسي ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾[2]

---

(١) سورة الملك: آية ١، ٢.

(٢) سورة غافر: آية ١١.

وهذه مقالة أهل النار يستعرضون فيها المراحل الوجودية التي عبروها فيجدونها أربع: موتين وحياتين.

الموت يسبق فيها الحياة وكأنهم يسألون الله أن يزيدها موتة وحياة. والملاحظ أنهم ذكروا الموت قبل الحياة وجمعوا الموتة الاولى مع الموتة الثانية، لانها حالة واحدة أو متشابهة من حالات الانسان الوجودية.

ومن ثم يظل الانسان منذ أن يخلقه الله كادحاً الى ربه عبر هذه المراحل الوجودية الاربعة خلال الزمان حتى يلاقي ربه ﴿ثم اليه ترجعون﴾ وهذا يفسر لنا قول الله عز وجل ﴿يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ (١).

أثر عقيدة الايمان باليوم الآخر في الحياة الانسانية:

المجتمع الذي يؤمن أكثر أفراده باليوم الآخر يختلف اختلافاً جذرياً عن ذلك المجتمع الذي لا يؤمن أكثر أفراده باليوم الآخر. وذلك لان لعقيدة اليوم الآخر على حياة الفرد والجماعة والمجتمع آثاراً خطيرة نوجز أهمها فيما يلي:

١ ــ الأثر الفكري أو الايديولوجي:

لا يخفى على أحد أهمية العقيدة في حياة الناس، فالعقيدة هي مجموعة مبادىء وتصورات وأفكار أو نظريات يعتقد الانسان بصحتها و يقتنع

---

(١) سورة الانشقاق: آية ٦.

بأنها حق والهدف منها تقديم تفسير للكون ولوجود الانسان، وذلك كله ضروري للانسان حيث بدون العقيدة يستحيل على الفرد أن يتكيف مع الحياة وأن يتقبل وجوده و يعمل على استمرار هذا الوجود وحيث يؤدي الفراغ العقيدي عند الفرد الى الاضطراب العقلي والنفسي وقد يؤدي به أحياناً الى الجنون وأحياناً أخرى الى الانتحار، لانه لا مناص أمام الانسان ـــ لكي يعيش ـــ أن يكون مقتنعاً بجدوى الحياة وأهمية وجوده وذلك لا يكون إلا من خلال عقيدة تفسر له وجوده وتبرره وتحدد له الغاية اللائقة به كانسان والرسالة التي وجد ليؤديها/ وتعجز العقائد المادية التي تقول أن الانسان يولد ويموت ولا وجود له بعد ذلك، نقول تعجز هذه العقائد عجزاً مطلقاً عن تفسير مغزى الحياة الانسانية وجدواها، كما تفشل في إيجاد معنى للوجود البشري وفي تحديد هدف أو غاية تليق بالانسان، وترضي نفسه وتشبع آماله وطموحاته التي تلح عليه في ضرورة الارتفاع عن الوجود المماثل لوجود الحيوان.

فالحياة الانسانية فصل ثان من مجموعة فصول يفسر السابق منها اللاحق فإذا فصلنا الحياة الدنيا عن سابقها أو عن لاحقها من المراحل الوجودية الأخرى، أصبحت بلا معنى و بلا مغزى ومهما حاول المفكرون في ظل هذه العقيدة فإنهم يعجزون عن إيجاد المبرر والمعلل الذي يرضي العقل وتطمئن اليه النفس للوجود البشري. إن نزع الحياة الآخرة من الوجود البشري يجعل هذا الوجود كوجود الحيوان سواء بسواء.

بينما نجد أن حياة الفرد في ظل الايمان باليوم الآخر مفهومة المقدمات

معلومة النتائج ليس أمام الانسان في هذا الوجود ألغاز أو أحاجي، حيث تصبح المتناقضات مقبولة للعقل فتعلل عقيدة اليوم الآخر للانسان وجود الظلم والفقر والخوف والالم والمجاعات في هذه الحياة الدنيا بجانب وجود العدل والغنى والأمن والنعيم فيها. ان الظالم اذا مات دون عقاب فعقابه في الآخرة، والمظلوم اذا مات دون أن يأخذ حقه فسيأخذ حقه في الآخرة ومن فاته شيء هنا سيعوضه الله عنه هناك.

أما عقيدة الكفر باليوم الآخر فإنها تضع أمام الانسان آلاف الاسئلة التي يعجز الماديون عن تقديم الاجابة عليها.

٢ ـ الأثر النفسي:

في ظل الايمان باليوم الآخر يعيش الفرد آمناً مطمئناً متمتعاً بالسكينة والرضا وكل هذه المشاعر هي أساس السعادة الانسانية وذلك لان المؤمن بالله واليوم الآخر يثق في عدالة الله و يطمئن الى رحمته وكرمه. فهو ينظر الى الحياة الدنيا كدار ابتلاء وكوجود مؤقت وليس كوجود نهائي له.

ومن ثم فهو يأمل فيما هو أعظم منها، فتعظم أحلامه وتتخطى كل ما في الحياة الدنيا من عرض زائل، فهو ذو همة عالية وآمال طموحة في حياة خالدة وملك كبير ونعيم مقيم. هذه الحالة النفسية التي يحيا في ظلها المؤمن تجعله أقدر على تحمل المصائب والابتلاءات بالضراء، فيصبر حتى يجتاز المحن كما تجعله حسن التصرف والاختيار ازاء النعم أو الابتلاء بالسراء فيشكر و يستخدم النعم فيما يعود عليه وعلى غيره بالخير. فهو سعيد راض في كلا الحالين: حال السراء وحال الضراء، وفي ذلك قال

رسول الله ﷺ (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، ان أصابته سراء شكر فكان ذلك خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان ذلك خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن).

أما الفرد الذي لا يؤمن باليوم الآخر فإن حالته النفسية خاضعة للضيق حيث يعيش وكأنه في قفص ضيق، ليس قفصاً مكانياً ولكنه قفص زماني، حيث أن الله عز وجل خلق الانسان وكيف نفسه وخصائصها وأحوالها لدار الخلود. حتى أن النفس السوية لا تقبل أقل من دار الخلود كآمال وأحلام تصبو اليها وذلك بمقتضى الخلقة والجبلة والفطرة التي فطر الله الناس عليها. فاذا عاش الفرد وهو يعتقد أن وجوده ليس سوى هذه السنوات القليلة المعدودة، وأن آماله وطموحاته تستوجب زماناً لا متناهياً وأن رغبته الفطرية في الاستمرار في الوجود لا تتوقف عند حد بل هي تطالبه وتلح عليه بوجود بلا نهاية وبحياة أبدية، عند ذلك يشعر بشعور يلح عليه بالضيق والتبرم والقلق والاضطراب، ويزداد هذا الشعور كلما تقدم به العمر وكلما بدأ يقترب من نهاية الشباب وبداية الشيخوخة ثم كلما بدأ يقترب من النهاية التي يعتقد أنها نهاية وجوده، بينما يعتقد المؤمن أنها نهاية حياته الاولى فقط، وأنه سيعقب ذلك الوجود وجوده الابدي الذي تطمح اليه نفسه وكل نفس بشرية. من هنا ازدادت نسبة الامراض العقلية والعصبية والنفسية في مجتمعات الحضارة الغربية التي اعتنق أفرادها المادية وكفروا باليوم الآخر، حتى أنهم ليسمون القلق مرض العصر. وكذلك انتشرت حالات الاكتئاب النفسي الذي كثيراً ما يؤدي بأصحابه الى

الانتحار. وزادت نسبة الانتحار لدرجة لم نعهدها بين البشرية من قبل. وما كل ذلك إلا بسبب كفرهم باليوم الآخر وحبسهم أنفسهم في قفص زماني ضيق هو الحياة الدنيا، أو على الأقل نقول ان هذا هو السبب الرئيسي لمعظم الامراض النفسية السائدة في هذه المجتمعات.

ان حصر الوجود الانساني في الحياة الدنيا حصر لها في مجال ضيق وعن هذه الحقيقة عبر ربعي بن عامر حين سأله كسرى فارس قبل موقعة القادسية قائلاله: لماذاجئتم الينا غازين أيها العرب؟ قال ربعي بن عامر: (الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الاديان الى عدل الاسلام). ذلك أن الفرد حينما يؤمن باليوم الآخر فهو يخرج من ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة.

٣ ــ الأثر الخلقي:

يختلف المجتمع الفاضل عن المجتمع غير الفاضل في أن الاول يتعامل أفراده من خلال القيم الخلقية الفاضلة وأساسها جميعاً الحق والعدل والخير. ومن ثم يتحلى أفراده بالفضائل الخلقية كالصدق والكرم والشجاعة والمروءة والاحسان والعفة والامانة. بينما المجتمع غير الفاضل يتعامل أفراده من خلال قيم أخرى هي المنفعة والحمية للقبيلة وللجنس وللون وللطبقة وغير ذلك.

وترتبط القيم الخلقية ارتباطاً وثيقاً بالايمان باليوم الآخر حتى يمكن القول أنه يصعب بل قد يستحيل قيام حياة خلقية فاضلة في مجتمع لا

يؤمن أكثر أفراده باليوم الآخر.

وعلة ذلك أن في النفس الانسانية رقيباً ذاتياً يسميه القرآن: النفس اللوامة و يسميه البعض بالضمير. وهذا الوازع الذاتي هو الدافع والاساس الأول للقيم والفضائل الخلقية و يرتكز هذا الوازع على الايمان باليوم الآخر كيوم يحاسب الله عز وجل السميع البصير والرقيب على كل فرد على أعماله ان خيراً فخير وإن شراً فشر.

ان نظرة المؤمن للحياة الدنيا وطموحه في الملك الابدي في الآخرة يجعله أكثر جرأة وقدرة على الاستهانة بالاخطار فيكون بذلك شجاعاً مضحياً بحياته في سبيل الحق والعدل والخير. و يكون صادقاً حيث لا يستهو يه شيء في الدنيا فيجره الى الكذب والغش والخداع كما يستهوي أقل الاشياء الكافر باليوم الآخر فيرتكب في سبيله أكبر الكبائر.

وتعلق طموح المؤمن بالملك الابدي الخالد يجعله أكثر بذلا وانفاقاً في ماله للآخرين طمعاً في ثواب الله فيكون كريماً. بينما يجنح الكافر باليوم الآخر الى البخل والانانية محافظة على وجوده الوحيد أي حياته الدنيا.

كذلك يحدو بالمؤمن طمعه في الآخرة الى العفة فيكون ذلك له معيناً على ترك ملذات الحياة الحرام خوفاً من أن يعقب ذلك عذاب أليم في الآخرة.

أما بالنسبة للكافر باليوم الآخر فان القضية بالنسبة له تكمن في رغبته في الحصول على أكبر قدر ممكن من الملذات والمنافع المادية و بأسرع وقت ممكن و بأقل جهد ممكن، وذلك حتى يستطيع أن يستمتع بها قبل أن تنقضي حياته القصيرة بل ان العجيب أن الكفر باليوم الآخر يقلب

الحقائق والفضائل والقيم أمام عقله حيث يصبح مقتنعاً تماماً بأن الانانية والآثرة والبخل والجبن هي فضائل تؤدي الى خيره بينما تصبح الشجاعة والكرم والايثار ضرب من الحمق وسوء التصرف والغباء.

وبالاضافةالى كونه لا يخشى الله عز وجل، ولا ينتظر حساباً مما يؤدي الى قتل الوازع النفسي للخير في ذاته، فإن ذلك يؤدي الى قتل الوازع الذي يمنعه من ارتكاب الشر والرذيلة حتى ينتهي به الأمر للجنوح والاتجاه نحو الجريمة واقتراف الزنا والبحث عن أي متعة وبأية وسيلة ومن ثم يسهل عليه تخلي القيم الخلقية ومراعاة حقوق وحياة الآخرين مما يدفعه الى ارتكاب الجريمة لتحقيق مآربه.

وهذ هو السبب الاول في تفشي الجرائم وازدياد نسبتها يوماً بعد يوم في العالم الغربي نتيجة لتفشي الكفر باليوم الآخر بين أفراد مجتمعاته. حتى ضاع الامن بين الناس وهددتهم الجريمة في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وذلك بالرغم من استخدام الوسائل العلمية والتكنولوجية المتقدمة في مكافحة الجرائم ولكن دون جدوى.

ولن يعود الى هذه المجتمات الغربية أمنها وسعادة أفرادها ما لم يؤمنوا بالله واليوم الآخر حيث هذا الايمان هو الدافع الحقيقي والوحيد للحياة الخلقية الفاضلة في المجتمع.

المحاضرة الثانية

الانسان والمكان

أو

تصور العالم في الاسلام

يختلف تصور العالم في الاسلام عن تصور العالم عند الماديين اختلافاً جذرياً، فالماديون يقررون أن الكون كله يتمثل في العالم المحسوس المرئي ومن ثم فهو عندهم يتمثل في الفضاء الكوني بما فيه من مجرات وأجرام سماوية وبما في ذلك الارض وما عليها. واذا سألنا الماديين عن الموجود خارج الفضاء الكوني فإنهم يعجزون عن الاجابة، مع العلم أن الحقل البشري لا يستطيع تصور العدم أو هو يرفض تصور العدم.

أما التصور الاسلامي للكون فهو يقوم على أساس رفض فكرة أحدية العالم و يقرر تعدد العوالم في الكون المخلوق يدل على ذلك أن كلمة (العالم) لم ترد في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة المفرد بل وردت دائماً بصيغة الجمع كقوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾. فالقرآن الكريم يحدثنا دائماً عن عوالم متعددة وليس عالماً واحداً

و يثبت القرآن الكريم نوعين من العوالم ــ فهي متعددة و كثيرة من حيث العدد ولكنها اثنتان فقط في النوع هما:

عالم الغيب وعالم الشهادة قال تعالى: ﴿ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب...﴾[1]، أي الذين يؤمنون بوجود عوالم وكائنات غائبة عنهم، كالملائكة والجن والروح والسماوات العلا والجنة والنار واليوم الآخر. فالغيبيات منها ما هو كائن الآن ومنها ما سيقع في المستقبل.

أما عالم الشهادة فهو العالم المحسوس الذي نعيش فيه، و يتمثل في الفضاء الكوني وكل ما هو مادي محسوس على الارض وتحت الثرى. فهو اذن عالم مشهود للانسان بما في ذلك النجوم والاجرام السماو ية.

فتقسيم الكائنات الى غيب وشهادة هو بالنسبة للانسان ولكل الكائنات حتى الملائكة، أي أنهم سواء أهل السماء السابعة منهم أم أهل السماء الثانية فهناك ما هو غائب عنهم وهناك ما هو مشهود لهم. ومن ثم فليس في الوجود سوى الله عز وجل الذي يعلم كل شيء و يعلو على كل شيء فليس بالنسبة إلى عمله غيب أو شهادة ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾[2].

والان اذا كانت العوالم متعددة فما عددها؟ وكيف نتصور كل منها في ذاته؟ وكيف نتصور العلاقة بين كل عالم والاخر؟ وما هو الغائب منها وما هو المشهود بالنسبة لنا و بالنسبة لغيرنا؟

---

(١) سورة البقرة: آية ١،٢. (٢) سورة الرعد: آية ٩.

قال تعالى ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾[1] فالعوالم سبع. ذلك أن كل سماء عالم مستقل وما سميت هذه العوالم سماوات إلا لأنها تعلو رأس الإنسان الذي يخاطبه الله بالقرآن الكريم، دليل ذلك أن الله عز وجل يصفها بأنها أبنية شديدة عظيمة هائلة يقول تعالى: ﴿ وبنينا فوقكم سبعاً شداداً ﴾[2] وحسب المفهوم البشري والدلالة اللفظية لكلمة أرض في العربية وهي تعني ما تسفل أو ما تحت قدم المخلوق وكذلك حسب الدلالة اللفظية لكلمة سماء في العربية وهي كل ما علا رأس المخلوق يكون مفهوم العالم محدداً بأرض وسماء و يعيش على الأرض مخلوقات و يستظلون بهذه السماء. قال تعالى ﴿ ... الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء. ﴾[3] وحيث قد أثبت القرآن سبع سماوات فإنه أيضاً قد أثبت في الكون المخلوق سبع أرضين حيث تلحق بكل سماء أرضها، قال تعالى ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾[4] والمثلية القائمة بين الأرضين.

فالسماء الدنيا هي التي عند الفلكيين الفضاء الكوني المليء بالاجرام السماوية والتي يعجز العقل البشري ــ حسب نتائج علم الفلك الحديث ــ عن تصور أو حتى تخيل اتساعه حيث تسبح فيه أشعة

---

(١) سورة نوح: آية ١٥، ١٦.
(٢) سورة النبأ: آية ١٢.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٢.
(٤) سورة الطلاق: آية ١٢.

النجوم البعيدة بسرعة الضوء لمدى آلاف الملايين من السنين. هذه السماء الدنيا هي أصغر أو أدنى وأقل السماوات في الحجم والعظم. وهي بالنسبة لنا نحن البشرية بالاضافة الى الارض التي تقلنا، عالم الشهادة.

أما السماوات الست من الثانية حتى السماء السابعة فهي بالنسبة لنا عالم الغيب. حيث أنها جميعاً لا تقع تحت الحس البشري ولا يمكننا أن نعلم عن طبيعتها أو مادتها أو أهلها أو نواميسها شيئاً يذكر الا ما يأتينا به الوحي.

وأهل هذه السماوات الست هم الملائكة. ولما كانت كل سماء عالم مستقل عن التي فوقها والتي تحتها، اختلفت خلقة الملائكة من سماء الى سماء، قال تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السماوات والارض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء، ان الله على كل شيء قدير﴾(١) فأهل كل سماء من السماوات الست بطبيعة وخلقة مختلفة عن السماوات الخمس الأخرى.

وعالم الشهادة بالنسبة لاهل السماء الثانية يتمثل في عالمهم أي السماء الثانية وأرضهم بالاضافة الى السماء الدنيا التي تحتهم فهم يستطيعون النزول الى السماء الدنيا. ولكنهم لا يستطيعون الصعود الى السماء الثالثة التي تعلوهم، ومن ثم فعالم الغيب بالنسبة لهم هو السماوات الخمس التي فوقهم وما فوق السماء السابعة، وكذا الامر بالنسبة لاهل السماء الثالثة يكون عالم الشهادة بالنسبة لهم هو سماؤهم

---

(١) سورة فاطر: آية ١.

وأرضهم والسماء الثانية والسماء الدنيا وما فوقهم هو عالم الغيب، وهكذا، حتى نجد أن عالم الغيب بالنسبة لاهل السماء السابعة هو ما فوق السماء السابعة (الكرسي والعرش) بينما يعتبر عالم السماوات هي مثلية في العدد وهي مثلية في الشكل فكما أن السماوات السبع وصفها الله بأنها طباقاً فلنا أن نتصور الارضين بأنها طباقاً.

و يؤكد المثلية في العدد ما ورد في الأثر من حديث عن ذكر الارضين السبع.

فالكون المخلوق سبع عوالم كل عالم مكون من سماء وأرض و يعيش على الارض خلق الله عز وجل و يؤكد هذا التصور و يوضحه دعاء الرسول ﷺ المأثور﴿اللهم رب السماوات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن...﴾أي ما حملن من مخلوقات عليها.

و يؤكد ذلك أيضاً قول الله عز وجل﴿يتنزل الأمر بينهن﴾أي بين السماوات السبع والارضين الست وهذا الامر الالهي يتنزل على مخلوقاته التي تعيش فوق الارض.

وما يثبت و يؤكد أن كل سماء وأرض يكونان عالماً مستقلا بما تظله السماء وتقله الارض من مخلوقات خاصة بهذا العالم قول الله عز وجل ﴿فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾[1] فقوله تعالى:

---

(١) سورة فصلت: آية ١٢.

﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ أي ناموسها وقانونها وطبيعتها وطبيعة الخلق فيها والحكمة من وجودها والمهام الموكولة لكل مخلوق فيها. ودليل ذلك أنه بين لنا أمر السماء الدنيا ومهمة النجوم فيها أنها مصابيح وحفظ. وعلى ذلك فكل سماء وأرض عالم مستقل لاستقلال كل سماء وأرض بطبيعة وناموس وقوانين خاصة تختلف عن السماء التي فوقها والتي تحتها.

X وعالم الشهادة الخاص ببني البشر هو السماء الدنيا، وقد سميت كذلك اما لانها السماء الادنى بمعنى الاقرب بالنسبة لنا، واما لانها الاقل حجماً من السماوات الست أو العوالم الست التي تعلوها.

الشهادة بالنسبة لهم هو السماوات السبع، ولذلك فأهل السماء السابعة من الملائكة مستطيعون النزول بين السماوات وحتى السماء الدنيا، كما هو الامر بالنسبة لجبريل عليه السلام الذي كان ينزل الى السماء الدنيا ولكنه لم يستطع الصعود الى ما بعد السماء السابعة كما حدث في ليلة المعراج حيث لم يستطع الصعود مع رسول الله ﷺ، ومن ثم فكل المخلوقات بما في ذلك أهل السماء السابعة عندهم غيب وشهادة ولا يوجد أحد سوى الله هو عالم الغيب والشهادة ولذلك وصف الله نفسه مع هذه الصفة بقوله﴿الكبير المتعال﴾فهو المتعال فوق كل شيء ومن ثم فهو يعلم كل شيء ولا يغيب عنه شيء.

يبقى بعد ذلك السؤال عن علاقة السماوات بعضها ببعض قال تعالى ﴿سبع سماوات طباقاً﴾فاذا علمنا أن الشيء يكون مطبقاً على الشيء اذا كان محيطاً به من جميع الجوانب، تعطينا هذه الكلمة تصوراً للسماوات

باعتبارها عوالم كروية مائلة تحيط السماء السابعة بالسموات الست وتحيط السماء السادسة بالسماوات الخمس وتطبق السماء الخامسة أيضاً بالسموات الاربع وهكذا حتى نصل الى السماء الثانية تحيط بالسماء الدنيا التي ليس تحتها سماء.

فاذا تذكرنا أن السماء الدنيا كون هائل يعجز الانسان عن تدوين اتساعه في أرقام عددية فما بالنا بالسماء السابعة؟.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا الان هو ماذا بعد السماء السابعة؟

قال تعالى ﴿... وسع كرسيه السماوات والارض...﴾ (١) ومعنى هذا أن السماوات السبع والارضين السبع في الكرسي حيث ان الكرسي يسعها. وقد حدد رسول الله ﷺ النسبة بين السماوات السبع وبين الكرسي بقوله لأبي ذر (ما السماوات السبع في الكرسي الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراني فلاة من الارض).

ومن ثم تصبح هذه السماوات السبع في ملك الله العظيم شيئاً ضئيلا صغيراً وهو عز وجل قادر على أن يخلق مثلها أضعافاً مضاعفة، وبذلك يستقيم في أذهاننا معنى قوله تعالى ﴿.. سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾(٢) وقوله تعالى ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٢٥.
(٢) تفسير ابن كثير لآية الكرسي.
(٣) سورة الحديد: آية ٢١.

السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾[1] إن في ملك الله متسع و يزيد لأن ينشيء الله عز وجل لكل تقي جنة عرضها السماوات بل أربع جنان، وأن ينشيء لكل مؤمن بالله ورسله جنة عرضها كعرض السماء.

وإذا تساءلنا ماذا بعد الكرسي جاءت الاجابة القرآنية العرش ﴿... الرحمن على العرش استوى﴾[2] و يرجح ابن كثير أن الكرسي غير العرش و يذكر من الأخبار ما يدل على أن الكرسي في العرش وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة الملقاة فيه.

واستواء الله عز وجل على العرش يفيد أنه بائن عن خلقه غير حال ولا متحد بالخلق فهو بذاته فوق العرش ولكنه مع المخلوقات بعلمه وهيمنته وسمعه وبصره وقدرته وكل صفاته العلية. و يفيد الاستواء أيضاً أن الله عز وجل متعال عن الخلق فهو محتجب بذاته عنهم وحجابه النور أو النار كما جاء في حديث صحيح (...حجابه النور أو النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه...)[3] وسبحان الله العظيم.

ان السماوات والارض وكل المخلوقات متداعية في كل لحظة نحو الفناء. فالاصل فيها جميعاً الفناء والزوال. وهي باقية لان الله عز وجل يمسك عنها الزوال والفناء ويمدها بالوجود والاستمرار فيه كل لحظة فهو قيوم السماوات والارض جل وعلا ولولا ذلك لزالت قال تعالى ﴿ان الله

---

(1) آل عمران: آية ١٣٣.
(2) سورة طه: آية ٥.
(3) صحيح مسلم.

يمسك السماوات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً ﴾ (١).

ان الله هو الموجود الحق وما سواه باطل، ولولا ارادة الله في بقاء الشيء موجوداً، مهما عظم هذا الشيء المخلوق، لما بقي ولزال على الفور.

ان الله عز وجل باق بذاته أما ما سواه فهو باق بابقاء الله عز وجل له، لان الاصل في ما سواه العدم والوجود عارض له، وهكذا يمكن أن نفهم من معاني لا اله الا الله أنه لا موجود يحق الا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة فاطر: آية ٤١.

المحاضرة الثالثة

الفطرة

أو

مصير المشركين الذين لم تبلغهم رسالة الاسلام

قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[1].

فطرة الشيء هي طبيعته في أول خلقه، ومن ثم ففطرة الانسان هي طبيعته الاولى التي يولد بها وقبل أن تتبدل وتتغير فالآية تثبت أن الله عز وجل يخلق الانسان موحداً بمقتضى الطبيعة والخلقة والجبلة، أي أن طبيعته الاولى أو فطرته ــ لو سلمت من التحريف والتبديل ــ فإنها تدله وتهديه دون علم مكتسب ودون ارشاد من أحد من الخلق الى حقيقة التوحيد الاسلامية النازلة من السماء بالوحي على سيدنا محمد ﷺ. وعلى كل الأنبياء والرسل من قبله.

---

(١) الروم: آية ٣٠.

ومن ثم فالتوحيد الذي نزل من السماء عن طريق الوحي له مثيل في نفس كل انسان لم تتبدل فطرته، ولا فرق بينهما اللهم الا أن معرفة الفطرة بالله اجمالية كلية، ومعرفة الوحي تفصيلية بيانية..

وقد ورد من الاحاديث الصحيحة ما يفسر هذا المعنى في الحديث القدسي الذي يرويه رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل قال: يقول الله تعالى: (اني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)[1].

وقد بين الله عز وجل لنا في هذا الحديث أن الذي يغير الفطرة الموحدة هم الشياطين ولكن الشياطين ليسوا من الجن فقط بل هناك شياطين الانس، ومن ثم فمغيرات الفطرة كثيرة منها البيئة والمجتمع والثقافة السائدة فيه، وعلى رأس ذلك كله الاسرة حيث يورث الوالدان عقيدتهما لابنائهما.

ولكن العامل الرئيسي والحاسم في تغيير الفطرة هو ارادة صاحبها وما هذه العوامل الاخرى الا مؤثرات، ولذلك يجب علينا أن نفهم قول الرسول ﷺ (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[2] بمعنى بتأثيرهما على الابن، وقد يرد على الذهن هذا السؤال وهو، أن الله تعالى يقول ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ بينما يثبت الحديث القدسي والحديث الشريف التغيير في الفطرة فكيف يكون ذلك؟ وما هو المقصود بنفي التبديل في خلق الله في الآية؟ ولكن الرد

---

(١) صحيح مسلم. (٢) رواه الشيخان.

على هذا السؤال يمكن في أن الله قال ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ ولم يقل لا تبديل لفطرة الله، وفرق بين المقصود بالفطرة والمقصود بالخلق، ذلك أن المراد بخلق الله هو مخلوقاته من البشر في كل زمان ومكان، لذلك قال ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ ولم يقل (فطرة الله التي فطر الانسان عليها أو فطر آدم عليها) مما يدل على أن كل انسان فرد يخلقه الله يفطره على التوحيد. والمعنى أن جميع المواليد من خلق الله منذ آدم حتى آخر من يولد من أبنائه في الدنيا سيولدون على التوحيد ولن يؤثر توالي أجيال الكفر والشرك على البشرية في هذه الفطرة فما يفعله الاباء والاجداد في أنفسهم من تبديل فطرهم لا يتعدى تأثيره الى أبنائهم، حيث أن هؤلاء الابناء يولدون مسلمين ولا يؤثر كفر آبائهم في فطرهم.

أما التغيير الارادي الذي يحدثه الانسان في فطرته من التوحيد الى الشرك وذلك بعد بلوغه سن الرشد والتكليف فهو جائز وحادث وهذا هو الذي يتحدث عنه كل من الحديث القدسي والحديث النبوي. والسؤال الرئيسي في موضوعنا هو: ما هو مصير المشرك الذي لم تبلغه رسالة الاسلام؟ حيث أنه معلوم من الواقع الذي لا يمكن انكاره أنه يوجد الكثير من الناس الذين يولدون و يعيشون في مجتمعات كافرة ووثنية ثم يموتون دون أن تبلغهم رسالة الاسلام، كأهل المجتمعات البدائية في أرجاء القارات وكالقبائل الوثنية في أواسط افريقية أو استراليا، أو مثل الهنود الحمر قبل اكتشاف امريكا، أو أي مكان في العالم لا يعرف أهله العربية ولم تبلغهم رسالة الاسلام على بيان ووضوح

وصدق. ان أمثال هؤلاء اذا ماتوا على عقيدة قومهم التي لم يجدوا أمامهم غيرها، ماذا يكون مصيرهم يوم القيامة؟

من المعلوم أن مصير المشرك الذي بلغته رسالة الاسلام هو الخلود في النار. بيد أننا عندما نفترض ان أحداً من الناس لم تبلغه رسالة الاسلام فإن أول ما يرد على أذهاننا لتحديد مصيره هو أن الله عز وجل عادل ولا يظلم أحداً، ومن ثم فهو لن يعذب انساناً على الشرك لانه لم تصله الرسالة السماوية الهادية له الى التوحيد، وكثير من الناس يرى هذا الرأي ويستدلون على ذلك بقوله تعالى ﴿... وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[1] مما يجعل البعض يفهم من هذه الآية أن أهل الفترة التي لم تكن فيها رسل ولا كتب سماوية صحيحة لن يعذبهم الله عز وجل وسيدخلون الجنة حتى ولو ماتوا على الشرك.

وقال رأي آخر من مات على الشرك سواء وصلته رسالة السماء الصحيحة أم لم تصله فانه في النار، ودليل أصحاب هذا الرأي قول الله عز وجل ﴿إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[2] وقالوا أن حكم الآية عام مطلق وليس يوجد ما يدل على تقييد هذا الحكم أو تخصيصه أو استثناء من لم تصله الرسالة منه.

فما هو الرأي الصواب في هذه القضية وما هو الرأي الخطأ؟ ان الحق في هذه القضية واضح وأساسه هو حقيقة الفطرة فالذي يموت على الشرك في أي زمان ومكان ومهما كانت بيئته، فانه يخلد في النار لا محالة

(١) سورة الاسراء: آية ١٥.

(٢) سورة النساء: آية ٤٨.

بمقتضى وعيد الله للمشركين حيث أوعد أنه لا يغفر الشرك و يغفر ما دونه من الذنوب والا ثام وحتى الكبائر لمن يشاء.

ولعل الذي يؤكد ذلك هو العملية التي غرس الله عز وجل بها الفطرة الموحدة في النفس الانسانية، ونعني بها عملية الاشهاد، ومع ايماننا بأن الله عز وجل قادر على كل شيء، يفعل ما يشاء كيف يشاء وقد خلق الملائكة موحدين وكان ــ اذا شاء الله ــ يمكن أن يخلق الانسان موحداً بكلمة كن الالهية، ولكنه ــ لحكمة جليلة ــ شاء أن يغرس الفطرة الموحدة في النفس الانسانية بنفسه، وشاء أن يشهد الانسان على استيعابه وتعلمه وتقبل نفسه لهذه الحقيقة ــ حقيقة التوحيد ــ وبمعنى آخر نقول شاء الله ــ لحكمة جليلة أن يعلم الانسان التوحيد بنفسه عز وجل، وذلك قبل خلق الانسان في هذه الحياة الدنيا أي في الموتة الاولى.

والحكمة الجليلة هي ابطال حجة المشرك بعدم وصول الرسالة اليه، اذا لم تكن الرسالة وصلته. ولذلك أشهد الله كل الناس بلا استثناء واحد منهم قائلا لهم: ألست بربكم؟ فرددنا عليه جميعاً قائلين بلى، أي نعم نشهد انك ربنا الواحد، وبذلك شهد كل منا على نفسه أمام الله بأنه وعى وأدرك هذه الحقيقة الكونية العظمى التي تقوم عليها كل الحقائق الكونية الاخرى وهي أنه لا اله الا الله ولا رب سواه، وقد أخبرنا الله بذلك في كتابه الكريم بقوله تعالى (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا

بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ (١).

وتفسير ذلك أن الله عز وجل جمع كل نسمة كائنة من أبناء آدم وذلك في حالة وجودية غيبية قبل مجيئنا الى هذه الحياة الدنيا وأشهدنا على أنفسنا بأنه الرب الواحد، فشهدنا وبمقتضى هذا صار كل منا مسلماً موحداً، و يستتبع ذلك أن الانسان ليس بحاجة الى معلم أو رسول أو نبي لكي يدرك أن له رباً واحداً، وليس معنى ذلك أن الرسالات السماوية ليست ضرورية للبشر، بل هي كذلك، ولكن من وجوه أخرى غير قضية التوحيد.

وقد أظهر الله عز وجل في آية الاشهاد السابقة الحكمة الجليلة التي من أجلها علم الانسان التوحيد بنفسه وأشهده على ذلك، وهي أنه سيحاول المشركون الاحتجاج على الله يوم القيامة والاعتذار له بالجهل أو الغفلة أو بأنه عز وجل خلقهم في مجتمعات ولآباء مشركين كافرين ملاحدة أو وثنيين، فزودهم بالتوحيد الفطري قبل الحياة الدنيا، حتى لا يكون لهم حجة على الله بعد ذلك. فقال تعالى ﴿ أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا ﴾ أي عن التوحيد ﴿ غافلين ﴾ أي جاهلين غير مدركين ولا عالمين. ومعنى أن تقولوا حتى لا تقولوا. فذلك إبطال للحجة الاولى التي سيحتجون بها يوم القيامة. أما ابطال الحجة الثانية فيقول تعالى ﴿ أو

(١) سورة الاعراف: آية ١٧٢، ١٧٣.

تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾وهذا هو احتجاج المشركين بالبيئة ودين الاباء، وهو مرفوض أيضاً لان الله عز وجل علمهم التوحيد قبل وجودهم في هذه الحياة فلا عذر لهم.

ولكن قد يقول قائل فما معنى قوله تعالى اذن﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[1] وللاجابة على هذا السؤال نقول أن مهمة الرسل والأنبياء ذات جانبين متباينين وإن كان كل منهما مكملاً للآخر.

الجانب الاول هو جانب العقيدة أي التوحيد والثاني خاص بالشريعة. ومهمة الانبياء بالنسبة للتوحيد تذكيرية أكثر منها تعليمية، لان الانسان قد تعلم التوحيد من ربه عز وجل قبل خلقه فان مهمة الانبياء بالنسبة للتوحيد ليست تعليمهم شيئاً جديداً لم يكونوا يعرفونه من قبل، وانما هي اعادتهم الى فطرتهم السوية، وتذكيرهم بحقيقة مركوزة في نفوسهم ومعلومة لهم بأنه لا ند ولا شريك لله. وقد سجل القرآن الكريم على كل الناس معرفتهم وعلمهم بأنه لا شريك ولا ند لله عز وجل فقال تعالى﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾[2] فإذا لاحظنا أن نداء الله عز وجل في هذه الآية هو للناس كلهم مؤمنهم وكافرهم ثم هو يثبت عليهم جميعاً علمهم بأنه ليس لله

---

(١) سورة الاسراء: آية ١٥.

(٢) سورة البقرة: آية ٢١، ٢٢.

أنداداً، تبين لنا أن الناس كلهم يعلمون أن الله واحد، ومن ثم تكون مهمة الأنبياء والرسل تذكيرية بهذه الحقيقة أكثر منها تعليمية ولذلك ورد في القرآن الكريم المكي الذي تولى قضية التوحيد، كقضية رئيسية، أمر الله عز وجل لرسوله بأن يذكر ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾[2].

أما بالنسبة للجانب الثاني من مهمة الرسل فهو الخاص بالشريعة وهذا الجانب تعليمي بحيث أن البشر كلهم لو اجتمعوا وتعاونوا لمعرفة كيفية العبادات ومعرفة النظم والقوانين والشرائع التي تحقق لهم العدل والحق بينهم لعجزوا عجزاً تاماً من هنا نقول ان الرسالات السماوية ضرورية لهداية الانسان، كما أن معرفة الفطرة لا تغني الانسان عن معارف تفصيلية بالنسبة لقضية التوحيد كمعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته ومعرفة مصير الانسان والهدف من وجوده والحكمة من خلقه وكيفية التوحيد الخالص لله عز وجل ـ نقصد الكيفية التي تتحقق بالسلوك العلمي الفردي منه والاجتماعي، حيث أن الشريعة ليست سوى الحياة وفق مقتضيات التوحيد الاسلامي. ونظراً لعجز الناس عن معرفة العبادات والشرائع وحدهم فان الله عز وجل وعد بأن يغفر الذنوب ما دون الشرك لمن يشاء. و ينطبق هذا الوعد على كل من لم تصله رسالة الاسلام ومات على التوحيد فان أمله كبير في مغفرة الله عز

(١) سورة الغاشية: آية ٢١، ٢٢.
(٢) سورة الإنسان: آية ٢٩.

وجل بل ان الله عز وجل وعد بألا يعذب من لم تصله الرسالة على العبادات والشرائع في قوله ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ فهذه الاية بالجانب الثاني من مهمة الرسل وهي الشرائع والعبادات دون الجانب الاول الخاص بالتوحيد لان هذا الجانب الثاني لا يمكن للانسان ادراكه وحده، ولا بد فيه من رسول يعلمه الشرائع والعبادات، أما التوحيد فهو قادر وحده بفطرته على النجاة من الشرك، ومن ثم أوعد الله المشرك بعدم المغفرة ووعد الموحد الذي مات على توحيده الفطري بأن لن يعذبه على تركه العبادات لانه لا يستطيع وحده معرفتها.

ومن ثم فالمشرك الذي لم تبلغه رسالة الاسلام يخلد في النار ليس على تركه العبادات والشرائع فهذه لا يحاسب عليها وانما على تبديله فطرته ومخالفته للحنيفية التي خلقه الله عليها وانتقاله من عقيدة التوحيد الفطرية الى الشرك.

أما الذي يحاسب على التوحيد والشرائع معاً فهو المسلم الذي بلغته رسالة الاسلام فهؤلاء هم الذين يقام لهم يوم القيامة وزناً.

ولقد وجد على مر الازمان والعصور وفي مختلف المجتمعات الحنفاء الذي ماتوا على توحيدهم الفطري وقد عرف العرب من هؤلاء عديد من الناس أمثال زيد بن عمر بن نفيل وقس بن ساعده وغيرهم وهؤلاء يدخلون الجنة ولا يحاسبون على شريعة أو عبادة.

المحاضرة الرابعة

الخلافة

أو

مكانة الانسان الوجودية

اذا كانت الفطرة تعريفاً وتحديداً لطبيعة الانسان الاولى قبل أن يصيبها التحريف والتبديل، فإن الخلافة هي تحديد القرآن الكريم لمركز الانسان الوجودي ووظيفته الكونية ودرجته بين المخلوقات جميعاً، كما أنها التعبير القرآني عن رسالة الانسان في حياته الدنيا.

قال تعالى:

﴿ واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال: اني أعلم مالا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة، فقال: انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب

السماوات والارض وأعلم ما تبدون ما كنتم تكتمون.

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[1]

ونبدأ أولا بتسجيل بعض المعاني العامة والحقائق المستنبطة من هذه الآيات الكريمة.

الاولى: ان الله عز وجل قال﴿جاعل﴾والجعل يفيد الجبر وليس يفيد الاختيار وستكون لهذه الملاحظة أهمية خاصة عند البحث في كيفية تحقيق الخلافة.

الثانية: أنه عز وجل ذكر كلمة﴿خليفة﴾مطلقة دون أن يحدد من هو الذي سيكون الانسان خليفة له هل سيكون الانسان خليفة لله أو لغير الله.؟

وسنعرف الحكمة من ذلك بعد.

الثالثة: ان الملائكة سألت سؤالا استفهامياً تعجبياً ــ وليس ذلك تحدياً من الملائكة للانسان ــ وانما هو تعبير عن دهشتهم حيث لم يتوقعوا اختيار الانسان خليفة لما علموه عنه من قبل أنه سيفسد و يسفك الدماء. بل وربما كانوا يكتمون في أنفسهم تشرفهم الى هذا المركز الوجودي المرموق.

---

(١) سورة البقرة: الآيات من ٣٠ إلى ٣٤.

الرابعة: ان الله عز وجل أبطل تعجب الملائكة بتعليم آدم الاسماء وبعجزهم عن معرفة أسماء المعروضات بينما أخبر آدم بأسمائها مما يثبت أن لعلم الاسماء علاقة وثيقة بالخلافة وكأنها مؤهل الانسان لهذا المنصب الوجودي المرموق.

الخامسة: قيل في الاسماء أنها أسماء الله الحسنى، وقيل أنها أسماء الملائكة والحقيقة أنها أسماء الاشياء التي يستعملها الانسان في حياته الدنيا منذ آدم حتى قيام الساعة ودليل ذلك أن الله عز وجل قال﴿ ثم عرضهم﴾ كما أنه عز وجل قال﴿ أنبئوني بأسماء هؤلاء﴾ اشارة إلى المعروض ولو كان المعروض أسماء لعرفتها الملائكة. ولكن المعروض هو المسميات والمطلوب منهم معرفة أسمائها فلم يبق إلا أن تكون الاسماء هي أسماء الاشياء.

السادسة: ان أمر الله عز وجل للملائكة بالسجود هو بمثابة الامر بالتسليم والاقرار والاعتراف للانسان بالافضلية والتكريم والعلو في الدرجة الوجودية أي بكلمة واحدة الاقرار والاعتراف بالخلافة.

السابعة: رفض ابليس السجود يعني عدم موافقته ورفضه الاقرار بأفضلية الانسان عليه وعلى نوعه أي عليه وعلى الجن. وهذا يفسر لنا دور ابليس في حياة البشرية وأعماله ونشاطه هو وجنوده إزاء الانس حيث يحاول هؤلاء الشياطين أن يوقعوا بني آدم في الكفر والشرك والمعاصي حتى يفقد من يستجيب لهم هذا التكريم وهذه الافضلية، وهذا المركز الوجودي العالي أي الخلافة.

والاسئلة التي سنحاول الاجابة عليها في هذا الموضوع هي:

ما هي الخلافة؟ وكيف يحققها الانسان؟

وما علاقة مفهوم الخلافة بمفهوم الحضارة الانسانية الصحيحة؟

ما هي الخلافة؟

الخلافة لغة هي النيابة والوكالة. والنيابة أو الوكالة عندما تتم بين ثنين من الناس مثلا فإنها تتطلب لكي تقوم عدة عناصر رئيسية هي:

١ ـ الموكل.
٢ ـ الوكيل.
٣ ـ الموكل فيه أو عليه.
٤ ـ شروط الوكالة.
٥ ـ مدة الوكالة.
٦ ـ الحساب في نهاية الوكالة.

ونجد بالقياس هذه الاطراف والعلاقات القائمة بينها موجودة بكاملها في حقيقة الخلافة:

١ ـ المستخلف (بكسر اللام) وهو الله عز وجل.
٢ ـ المستخلف (بفتح اللام) وهو الانسان.
٣ ـ المستخلف فيه (بفتح اللام) وهو الارض وما فيها وما عليها.
٤ ـ شروط الخلافة وهي التكليف أو الرسالة السماوية أو الشريعة.

٥ ــ مدة الخلافة. الحياة الدنيا منذ آدم الى يوم القيامة.
٦ ــ الحساب هو يوم الدين.

ــ ومن ثم فالخلافة ــ كالوكالة ــ تعبير عن علاقة بين الانسان (المستخلف) وبين ربه الذي استخلفه من جهة وعن علاقة أخرى بين الانسان الخليفة وبين كل ما استخلفه الله عليه في الارض من جهة أخرى.

والعلاقة الاولى ذات طبيعة خاصة ومختلفة عن العلاقة الثانية التي لها طبيعتها الخاصة أيضاً. أما الاولى فهي تتمثل في الخضوع والطاعة والاستجابة واستسلام الخليفة لمن استخلفه أو هكذا يجب أن تكون. وبكلمة واحدة نقول أنها عبودية.

* أما البعد الثاني أو العلاقة الثانية من علاقتي الخلافة فإنها تتمثل في سيطرة الانسان الخليفة وهيمنته واستغلاله وحاكميته وتسخيره لكل ما استخلفه الله عليه أي لكل ما في الارض وما عليها وما في باطنها من أشياء وأحياء، وبكلمة واحدة نقول أن الانسان سيد عليها، ومن ثم فهذه العلاقة تسمى سيادة. فالخلافة اذن عبودية وسيادة.

* ولكن يجب التنبيه الى أن العبودية والسيادة وجهان لحقيقة واحدة هي الخلافة، وهما قائمان كشيء واحد في الذات الانسانية. ولا يمكن الفصل بينهما إلا في الذهن للدراسة والتوضيح فقط، أما في عالم الواقع فإن الانسان لا يمكنه إقامة احداهما دون الاخرى.

وبتعبير آخر نقول اذا لم يحقق الانسان عبوديته لله فإنه يضيع سيادته في الارض، لانه اذا لم يحقق عبوديته لله فإنه سيسقط في عبوديته لغيره، ومن ثم يفقد سيادته على هذا الغير، واذا لم يحقق الانسان سيادته على كل الاشياء والاحياء في الارض فإنه بالتالي يستحيل عليه أن يكون عبداً لله عز وجل.

كيف يحقق الانسان الخلافة؟

اذا وضعنا هذا السؤال بجانب الملاحظة الاولى التي سجلنا فيها أن الجعل يفيد الجبر، يصبح لا محل ولا لزوم له، وذلك لان الخلافة ليست أمراً كلف به الانسان بل هو جعل خليفة وخلقه الله كذلك، فهو خليفة بمقتضى الخلقة، وهو خليفة شاء أم أبى، وعلى ذلك يحق لمعترض أن يقول اننا لسنا في حاجة للسؤال عن كيفية تحقيق الخلافة. وهذا الاعتراض صحيح ومقبول بالنسبة لسؤالنا بهذه الصيغة، ومن ثم يتعين علينا تصحيح السؤال ليكون كالآتي:

كيف يحقق الانسان خلافته لله في الارض؟

وذلك لان آية الخلافة تفيد جعل الانسان خليفة دون تحديد الذي سيكون الانسان خليفة له. فلم يقل الله عز وجل (خليفة لي) ولم يقل (خليفتي) ومن ثم فالانسان مخلوق خليفة وفقط. أي أن الجانب الجبري في حقيقة الخلافة هو في كون الانسان خليفة فقط، أما لمن سيكون الانسان خليفة هل سيكون لله أم لغير الله؟ فهذا موكول لارادة الانسان الحرة المختارة، ومفوض لفاعليته، فقد خلقه الله حراً مختاراً

ومستطيعاً في أن يجعل خلافته لله أو يجعلها لغير الله. ولذلك يتعين علينا أن نسأل الان:

كيف يحقق الانسان خلافته لله وكيف يحققها لغير الله.؟

وللاجابة على ذلك نقول:

اذا كانت الخلافة عبودية وسيادة، فإن هذا السؤال يصبح عندنا سؤالين: الاول: هو كيف يحقق الانسان عبوديته لله وكيف يحققها لغير الله؟ والثاني: كيف يحقق الانسان سيادته في الارض؟

بالنسبة للعبودية نقول أن الله قد خلق الانسان عبداً، فهو لا يمكن إلا أن يكون عبداً، فكونه عبداً أمر جبري جبلي لا يستطيع تغييره، بيد أن الله عز وجل جعل عبودية الانسان محل ابتلاء له أو هي أساس ابتلائه في هذه الحياة الدنيا فترك له حرية اختيار المعبود، فيستطيع الانسان أن يعرف عبوديته لله وحده فيحقق عبوديته لله و يستطيع أن يجعلها لله ولغيره و يستطيع أن يصرفها لغير الله تماماً وبذلك يشرك و يكفر بالله. ولكن على أي حال لا يمكن للانسان إلا أن يكون عبداً فذلك أمر جبري، أما الاختيار فهو الذي يحدد به الانسان معبوده: إما الله وحده كما يفعل المؤمنون الموحدون، وإما أن يشرك مع الله الهاً آخر في العبادة وإما أن يكفر بعبادة الله.

ومعنى ذلك أنه إن لم يجعل الانسان عبوديته لله وحده و يقصر العبادة على الله عز وجل سقط بالضرورة في عبوديته لغير الله. فليس معنى أن يرفض الانسان عبادة الله أنه يتحرر من العبودية، بل هو يسقط في

عبوديته لسواه، لان عبودية الانسان لغير ذاته الانسانية أمر جبري، فإذا لم يجعل الانسان عبوديته لله وقع في عبوديته لغير الله سواء عبد الهوى أو الشيطان أو الحاكم أو المال أو الوثن.

ومن ثم فلا سبيل أمام الانسان لتحرير ذاته من كل هذه المعبودات والطواغيث والاوثان المادية سوى تعبيدها لله وحده.

أما كيفية تحقيق العبودية لله وحده فبكلمة واحدة: بالدين فالتكليف الالهي للانسان هو المنهج القويم الصحيح لتحقيق العبودية لله عز وجل. ولما كانت حياة الانسان تقوم على جانب فردي وجانب اجتماعي و يقوم الاول على علاقة الذات الانسانية بخالقها و يقوم الثاني على علاقة هذه الذات بغيرها من النفوس البشرية المحيطة بها. كان لكل جانب من جوانب الحياة الانسانية نوع من العبودية: الاول له العبودية الفردية والثاني: له العبودية الاجتماعية وذلك لان لفظ الانسان يدل على الفرد كما يدل أيضاً على المجتمع الانساني ومن ثم فتحقيق العبودية لله عز وجل يستلزم تحقيق العبودية الفردية لله وتحقيق العبودية الاجتماعية له. إذ لا تتم هذه العبودية إلا اذا صار الانسان بحالتيه: الفردية والاجتماعية عبداً له.

أما كيفية تحقيق الدين للعبودية الفردية ومنهج ذلك فهو بالشعائر التعبدية المتمثلة في العبادات صلاة ونسكاً فرائضاً ونوافلا، فالشعائر التعبدية هي منهج تعبيد ذات الفرد لبارئها.

أما المقصود بالعبودية الاجتماعية فهو خضوع الناس في علاقاتهم

الاجتماعية لله ربهم وهذا يستلزم أن تقوم هذه العلاقات الاجتماعية وما ينبني عليها من نظم اجتماعية بين الناس وفق حكم الله عز وجل وحسب ما أراد لهم، فالشريعة الاسلامية أو بتعبير آخر النظم الاجتماعية الاسلامية هي منهج تعبيد الانسان كمجتمع لله رب العالمين.

فالمجتمع الذي يحكم شريعة الله في علاقة الدولة بالرعية هذه العلاقة التي يقوم عليها نظام الحكم ويحكم بما أنزل الله. والذي يحكم شريعة الله في علاقة الذكور بالاناث هذه العلاقة التي يقوم عليها النظام الاجتماعي والذي يحكم شريعة الله في العلاقات الثنائية بين الافراد، هذه العلاقات التي يقوم عليها النظام الخلقي. نقول أن المجتمع الذي يحكم شريعة الله في هذه الانظمة الاجتماعية الرئيسية الثلاثة هو مجتمع مسلم محقق لعبوديته لله عز وجل.

أما المجتمع الذي لا يحقق فيه أكثر أفراده عبوديتهم الفردية لله ولا يحكمون شريعة الله في الانظمة الرئيسية الثلاثة المذكورة وانما يحكمون شريعة غير الله سواء كان هذا الغير برلماناً أو فرداً أو مفكراً أو جمهوراً فإنه يكون محققاً لعبوديته لغير الله ومن ثم يكون محققاً لخلافته لغير الله في الارض.

أما تحقيق السيادة فيقوم على ركيزتين جعلهما الله عز وجل للانسان، لان الانسان سيد على كل المخلوقات في الارض بمقتضى كونه خليفة وقد سيده الله عليها بهاتين الركيزتين:

الاولى: وهبها الله للانسان فهي ركيزة ذاتية وهي استطاعة الانسان على العمل ويمكن العلم الانسان من توسيع دائرة عمله، فعلم الاسماء

يدخل كمقوم أساس في هذه الركيزة لان العلم التجريبي ليس سوى معرفة خصائص الاشياء والقوانين التي تحكم علاقاتها وتأثيراتها، فإذا عرف الانسان طبيعة الشيء وخصائصه وتأثيره وتأثره بغيره استطاع تسخيره له والانتفاع به وتحقيق سيادته عليه. فالعلم هو المؤهل الذاتي المحقق لسيادة الانسان في الارض.

* أما الركيزة الثانية للسيادة فهي كامنة في طبيعة الاشياء والاحياء الارضية وهي تتمثل في تسخير الله عز وجل لها. قال تعالى ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾[1] وقال تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[2].

وتعدد آيات سورة النحل النعم الالهية على الانسان حيث سخر الله له الانعام والجمال والخيل والبغال والحمير والمطر والنبات والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبحر وأحيائه، يأكلها و يستخرج منه الحلي و يركب فوقه الفلك ثم يعقب جل جلاله على ذلك بقوله ﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾[3]. وتتمثل استطاعة الإنسان فيما زوده الله به من جوارح وحواس وقوى فجعل له يدين يبطش و يصنع و يشكل بهما وجعل له رجلين يمشي و ينتقل بهما وجعل له سمعاً و بصراً ولساناً متكلماً وعقلاً حافظاً ذاكراً حاسباً. وهذه

(١) سورة الاعراف: آية ١٠.
(٢) سورة الاسراء: آية ٧٠.
(٣) سورة النحل: آية ١٨.

القوى تشكل جميعاً الاستطاعة البشرية فإذا عمل بها الإنسان سخر لنفسه الأشياء والأحياء فالعمل هو منهج تحقيق سيادة الإنسان في الأرض. أما العلم والتكنولوجيا فليس هو منهج تحقيق السيادة وإنما هو منهج توسيع وتقوية وتعميق هذه السيادة. فالعلم بلا عمل لا قيمة له ولا يحقق وحده للإنسان نفعاً، وأن النفع والقيمة في تطبيق العلم في مجالات الحياة ثم في العمل وفق هذا العلم.

ومن ثم لا تضيف التكنولوجيا للانسان قوة أو استطاعة لم تكن عنده من قبل وانما ينحصر أثر هذه الاختراعات في توسيع الاستطاعات البشرية التي خلقها الله للانسان فلو لم يكن الانسان مبصراً لما اخترع أجهزة الابصار والتليفزيون والتلسكوت والميكرسكوب ولو لم يكن سميعاً لما اخترع المذياع والهاتف وما فعلته هذه الاجهزة في بصره وسمعه هو توسيع عمل هاتين القوتين صار يسمع الانسان البعيد و يرى الدقيق والبعيد الذي لم يكن يدخل في مجال سمعه و بصره.

وكذا فعلت الروافع والآلات والجرارات حيث وسعت من استطاعة اليدين عند الانسان. وكذا فعلت وسائل المواصلات الحديثة حيث وسعت من امكانية النقلة عند الانسان ولكن طبيعة الانسان ثابتة واستطاعته موجودة من الاصل فالسيادة تتم بالعمل، والعلم والتكنولوجيا يقويانها و يوسعانها وعلى ذلك فبالدين تتحقق العبودية و بالعمل والعلم تتحقق السيادة. أو بتعبير آخر نقول أن الحياة والعمل وفق الدين يحقق عبودية الانسان لله في الارض والعمل وفق العلم و بالتكنولوجيا

يحقق للانسان سيادته في الارض ومن ثم فإن الدين والعلم هما مقوما الخلافة. فهما متوافقان ومتكاملان وضروريان معاً لتحقيق رسالة الانسان. وليس بينهما في الاسلام تعارض ولا تنافر ولا تضاد. كما هو الحال في أوروبا منذ مطلع عصرها الحديث حتى الآن. كذلك ينبغي علينا ملاحظة مسألة هامة وهي أن منهج تحقيق العبودية نزل من السماء وليس من عمل البشر ومن ثم فقد نزل على رسول الله ﷺ كاملا ولم يقض الرسول ﷺ حتى تم واكتمل. وما زال وسيزال حتى يرث الله الارض وما عليها كاملا دون نقصان وممثلا في كتاب الله وسنة نبيه الكريم. ومن ثم فكل جيل يستطيع تحقيق عبوديته لله عز وجل كما فعل جيل الصحابة أو قريباً من ذلك.

وهذا الامر لا يحتاج الى تغيير أو تطوير أو تبديل لأن الانسان هو الانسان وطبيعته لا تتغير وعبوديته لله عز وجل هي في كل زمان ومكان.

أما منهج تحقيق السيادة أي العلم والتكنولوجيا فهو متوقف على تحصل الانسان ومن ثم فلم ولن يحصل عليه جيل من الاجيال كاملا تاماً بل هو يزداد وينمو من جيل الى جيل حتى يصبح أهل القرن التاسع عشر أهل علم وحضارة وتقدم بالقياس الى أهل القرن الثامن عشر بينما هم ــ أهل القرن التاسع عشر ــ في حالة تخلف بالقياس الى أهل القرن العشرين. والسبب في ذلك أن العلم والتكنولوجيا يكتسبهما الانسان خلال الزمان رويداً رويداً. بخلاف منهج تحقيق العبودية الذي نزل من عند الله عز وجل خلال بعثة المصطفى ﷺ كاملا تاماً.

ولذلك نقول أن لكل عصر درجة مقدرة من العلم والتكنولوجيا وبالتالي من السيادة في الارض. ويحاسب على تحقيق هذا القدر المتاح له في عصره من السيادة، ومن ثم يحاسب على العمل لتحقيق السيادة أكثر من حسابه على العلم والتقدم العلمي في عصره. أما بالنسبة لتحقيق العبودية فالناس يحاسبون عليها كاملة لان منهج الله فيها كامل وهو ميسور وفي طاقة الفرد والجماعة وقد ثبت ذلك عندما طبق هذا المنهج في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم بنسب متفاوتة في الكمال ولكنه ظل قائماً حتى سقوط الخلافة العثمانية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

ما هو مفهوم الحضارة في الاسلام وعلاقة هذا المفهوم بمفهوم الخلافة؟

اذا فهمنا الحضارة باعتبارها أنماط وأساليب متقدمة راقية للحياة الانسانية، فإن حياة الانسان تضم جانبين متباينين الاول و يقوم على علاقة الانسان بالله عز وجل وبغيره من بني البشر و يسمي علماء الحضارة الغربيون هذا الجانب بالثقافة، والجانب الثاني من جوانب الحياة الانسانية و يتمثل في تعامل الانسان مع الاحياء والاشياء سوى الانسان و يسمون هذا الجانب مدنية فالحضارة تضم جانبين ثقافي ومدني وكل منهما مباين للآخر لان تعامل الانسان مع الله عز وجل وتعامله مع بني البشر يختلف تمام الاختلاف مع تعامل الانسان مع الحيوان أو النبات أو المواد.

والحضارة الانسانية الكاملة هي التي ترقى وتسمو في التعامل الثقافي كما تتقدم أيضاً في التعامل المدني. ومع ذلك فالذي يحدث أحياناً هو تقدم الانسان في جانب تخلفه في جانب آخر نظراً لتباين الجانبين ولاختلاف منهج تقدم كل جانب عن الآخر، فإذا أخذ مجتمع ما بأسباب تقدم أحد الجانبين وأهمل أسباب تقدم وسمو الآخر يحدث نمو وتقدم في جانب و ينحط الجانب الآخر.

و بالنظرة الفاحصة يتبين لنا أن ما أسماه علماء الحضارة الغر بيون الجانب الثقافي ليس سوى العبودية في حقيقة الخلافة القرآنية وما أسموه بالجانب المدني ليس سوى السيادة فيها. وعلى ذلك فإن حقيقة الخلافة هي التعبير القرآني عن الحضارة الانسانية الكاملة الصحيحة، وكما يلزم إقامة العبودية فردياً واجتماعياً لله وتحقيق السيادة في الارض فإنه يلزم لكي تكون الحضارة صحيحة وكاملة الرقي الانساني والتقدم العلمي. ومن ثم تصبح الخلافة هي المقياس الاسلامي لمفهوم الحضارة في الاسلام و بتطبيق هذا المقياس على الحضارة الغر بية المعاصرة يتبين لنا — كما هو معلوم من واقع حياتهم — أنها تقدم ورقي في أساليب الجانب المادي من الحضارة فهي مدنية فقط وليست حضارة. أما جانب علاقة الشعوب الغر بية مع الله عز وجل وتعاملهم معه فهو جانب سيء حيث يغلب على هذه الشعوب الشرك والكفر والالحاد. كما أن تعامل الناس في هذه الحضارة مع بعضهم البعض في انحطاط متزايد يوماً بعد يوم. فلا صلة رحم ولا تواد وترابط ولا أمانة ولا صدق ومروءة ولا كرم ولا شجاعة ولا عفة، وانما هي الجريمة متفشية والرذائل سائدة والانحلال الجنسي

والخيانات الزوجية وقطع الرحم سائد بين الناس في معاملاتهم.

كذلك يؤسفنا القول أن المجتمعات الاسلامية التي سبق استعمارها بعدت الآن عن منهج الله في تحقيق العبودية وأصبحت أنظمتها غير اسلامية فلا هي تحكم شريعة الله في الحكم ولا النساء محجبات ولا أخلاقهم اسلامية وهذا لا يمنع من القول بأن كثيراً من أفراد هذه المجتمات يحققون عبوديتهم لله، أما العبودية الاجتماعية فهي غير قائمة في أغلب البلاد الاسلامية التي كانت مستعمرة من الصليبية.

أما في الجانب المدني أو في جانب السيادة فالعالم الاسلامي بصفة عامة متخلف عن مستوى السيادة الذي بلغته المدنية الغربية المعاصرة.

الصراع الحضاري:

إن أمة الإسلام تجتاز صراعاً حضارياً ضارياً ضد الحضارة الغربية الصليبية المادية بدفع وتوجيه وقيادة من الصهيونية.

فإذا كان المسلمون اليوم في صراعهم الحضاري يملكون منهج تحقيق العبودية لله مثلا في القرآن الكريم والسنة، وهم وحدهم ـ دون اليهود والنصارى ـ الذين يملكون المنهج الرباني الخالص، فإنهم يقصرون في تحقيق عبوديتهم لله عز وجل لأنهم لم يأخذوا بهذا المنهج، ولم ينهضوا بعد لتطبيقه في حياتهم كما ينبغي كذلك هم متخلفون في ناحية السيادة عن أعدائهم في الصراع.

أما الأعداء فإنهم وإن كانوا يفقدون منهج تحقيق العبودية لله عز وجل كما يفقدون أصلاً الرغبة في تحقيقها إلا أنهم يحرزون في مجال

السيادة قصب السبق علماً وعملاً، وهذا ما يشهد به الواقع.

من هنا نجد أن الحضارة الإسلامية تقف ولا تملك من مقومات الصراع الحضاري لا العبودية ولا السيادة في الأرض بينما يمتلك الغربيون في صراعهم ضد الحضارة الإسلامية أحد المقومين. ولذلك نجد موقف المسلمين في الصراع الحضاري موقفاً لا يحسدون عليه.

ومع ذلك فإنه يكفي للمسلمين أن يحققوا العبودية لله عز وجل للانتصار في هذا الصراع وتحقيق العبودية ممكن أن يتم ــ لو أرادو وأخلصوا وعملوا ــ في جيل واحد، وإذا تم لهم ذلك قادوا وسادوا.

فالحل لكي ينتصروا في هذا الصراع هو العودة أولا الى كتاب الله وسنة نبيه الكريم ﷺ لتحقيق عبوديتهم لله أولا و بعد ذلك يسهل الله لهم الأخذ بأسباب السيادة.

ولا سبيل ولا مخرج لأمة الاسلام مما هم فيه من تخلف حضاري إلا باجتياز هذه الخطوة الضرورية أولا فإذا حققوا عبوديتهم لله صاروا خلفاء له وسادوا الارض كما ساد أسلافهم.

المحاضرة الخامسة

الامانة

أو

جوهر الانسانية

قال الله عز وجل ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ (١).

نستعرض أولا المعاني العامة للآية ثم نبحث باذن الله في معنى الامانة، أما المعاني العامة التي يمكن استنباطها من الآية فهي:

أولا: المقصود بالسموات والارض والجبال أي السماوات ومن فيها والارض ومن وما فيها بما في ذلك الجبال، أي العالمين أو المخلوقات جميعاً، وانما خص الله الجبال بالذكر رغم أنها من الارض لانها تمثل أعظم المخلوقات وأقواها في حس الانسان في كل زمان ومكان، ومن ثم

---

(١) سورة الاحزاب: آية ٧٢.

يتضح لنا عظم الامر الذي قبله الانسان كأمانة حيث أشفقت من حمله السماوات والارض والجبال على عظمها وهولها.

ثانياً: اباء المخلوقات ورفضهن حمل الامانة ليس معصية لله عز وجل لان الله خيرها، بخلاء اباء ابليس والسجود لآدم لان الله عز وجل أمره بالسجود ولم يعرضه عليه. كما يختلف اباء المخلوقات حمل الامانة عن اباء ابليس السجود بأن الاول كان استصغاراً بينما الثاني كان استكباراً.

ثالثاً: قبول الانسان حمل الامانة التي رفضتها المخلوقات العظيمة كان تهوراً منه واندفاعاً وظلماً لنفسه وجهالة منه.

رابعاً: تفيد كلمة (عرضنا) أن الله عز وجل خير السماوات والارض والجبال بين حمل الامانة وبين رفضها. وتوحي صياغة الآية بأن العرض والتخيير كان في الوجود الغيبي الاول للانسان حيث جمع الله عز وجل المخلوقات كلها ومنحها لحظة تخيير وجودية، وعرض عليهم جميعاً بلا استثناء الامانة. وهذا يستتبع أن الامانة أمر غيبي.

خامساً: النتيجة الهامة المستنبطة من الآية أن كل المخلوقات باستثناء الانسان أبت حمل الامانة، ومن ثم يكون الانسان هو الكائن المنفرد بحمل الامانة.

وينبني على هذه النتيجة نتيجة أخرى، وهي أن الانسان يتميز عن سائر المخلوقات جميعاً بحمل الامانة.

فإذا تساءلنا عن حقيقة الانسانية أو سر الانسانية، فإننا نقول أن

الانسانية هي مجموعة الخصائص أو الخاصية التي يتميز بها الانسان عن سائر المخلوقات. وذلك لان الانسانية هي ما ينفرد به الانسان من خصائص فهي لا توجد عند غيره من المخلوقات الاخرى، فيستبعد من ذلك الخصائص والاحوال المشتركة بينه وبين الكائنات الاخرى.

وحيث أنه قد ثبت لنا أن الانسان ينفرد عن سائر المخلوقات بحمل الامانة، فان الامانة تكون هي جوهر الانسانية أو فيها يكمن سر الانسانية.

فإذا قلنا ما هي الامانة؟ فكأننا نقول ما هو سر الانسانية؟ والعكس في ذلك صحيح؟.

والآن اذا أردنا أن نعرف ما هي الامانة أو ما هو سر الانسانية، فعلينا أن نبحث عن خاصية آدمية تتوفر فيها الشروط الآتية:

أولا: أن تدخل هذه الخاصية كمكون أساسي وجوهري في حقيقة الانسانية وليست عرضاً من أعراضها.

ثانياً: أن تكون خاصة بالانسان فلا يشاركه فيها غيره من مخلوقات الله عز وجل حيث أنه المخلوق الوحيد الذي حملها.

ثالثاً: أن تكون هذه الخاصية أو هذا الجوهر شيئاً قابلا للضياع كما يكون في استطاعة بني آدم ومكنتهم المحافظة عليه. وأساس هذا الشرط يكمن في اختيار الخلاق العليم سبحانه وتعالى لفظ الامانة للدلالة على الشيء الذي عرضه وحمله الانسان. لان المفهوم من الآية أن الله عز وجل

عرض شيئاً على المخلوقات. وهذا الشيء أمر غيبي، وهو ذو شأن خطير بالنسبة لمن يحمله في حاضره ومُستقبله، و بالرغم من كونه غيبياً، فإنه لا بد أن يتصف بالمعنى الخاص في الارض ونعني به الوديعة المستردة التي يحاسب حاملها على الافراط كما يجازى بالمدح والثناء وغير ذلك على المحافظة عليها وتأديتها.

ومن ثم فهذا الشيء الذي قبل الانسان حمله قابل للضياع أو التلف أو التبديل والتغيير، وفي امكان حامله أيضاً أن يحافظ عليه.

ولقد اختلف المفسرون منذ عهد الصحابة حتى الآن حول تحديد الشيء الذي عرضه الله عز وجل على المخلوقات كأمانة وقبله الانسان وحده.

ومن أبرز ما قيل عن الامانة قديماً أنها:

الصلاة ــ العبادة ــ الطاعة ــ التكليف ــ الرسالة السماو ية.
وهذه كلها أمور متداخلة، فالصلاة من العبادة، والطاعة هي جوهر العبادة كما أن العبادة جزء من التكليف أو هي القيام بالتكليف والرسالات السماو ية هي ما كلف الله به الانسان.

وقيل أنها الشهوة أي الغريزة الجنسية.

وفي العصر الحديث نجد اتجاهاً جديداً ينحو الى تفسير الامانة بالحرية والاختيار والمسئولية، وكلها خصائص متلازمة فقد خلق الله الانسان لابتلائه ومن ثم جعله حراً مختاراً، وهذه يترتب عليه المسئولية والجزاء في الآخرة.

واذا ما حاولنا اضافة خصائص انسانية ينفرد بها الانسان. نضيف الى ما سبق أن قرره المفسرون ــ قدماء ومحدثين عن الامانة ما قرره علماء الدراسات الانسانية، حيث يرى المؤرخون أن الانسان كائن متميز بالحضارة والتقدم والرقي المطرد بينما يرى علماء الاجتماع أن الانسان كائن متميز بالاجتماعية. وقبل هؤلاء وأولئك فسر دارون الانسان بأنه حيوان متطور وليس هذا التفسير جديداً على الفكر الغربي المادي به هو قديم قدم الفلسفة اليونانية الوثنية التي فسرت الانسان على يد أرسطو بأنه حيوان عاقل أو حيوان ناطق.

ومن ثم يرى كثير من الناس أن العقل هو المميز الجوهري للانسان وهو سر الانسانية ومن ثم يكون هو الامانة في مذهبهم.

وقد يرى البعض أن الخلافة هي الامانة من حيث أن الانسان ينفرد بها.

و بناء على ما تقدم يمكننا أن نعيد ذكر الخصائص المحتملة التي قيلت قديماً وحديثاً في تفسير الامانة وهي:

الصلاة، العبادة، الطاعة، التكليف، الرسالة السماوية. ثم الشهوة. ثم الحرية والاختيار والمسئولية. ثم العقل والنطق والاجتماعية والحضارة والخلافة.

علينا أن نختبر هذه الخصائص واحدة واحدة لنستبعد منها الخاصية التي لا تصلح أن تكون وديعة مستردة، أو التي لا تعتبر مكوناً جوهرياً في

الذات الانسانية. أي التي لا تتوفر فيها الشروط الثلاثة المذكورة آنفاً. حتى اذا استبعدنا كل الخصائص و بقيت عندنا خاصية واحدة تنطبق عليها الشروط المذكورة علمنا أنها الامانة.

أما بالنسبة للصلاة والعبادة والطاعة والتكليف فإن القرآن الكريم يقرر أن كل المخلوقات مصلية مسبحة عابدة مطيعة لله عز وجل.

قال تعالى ﴿تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً﴾ (١).

وقال تعالى أيضاً﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾ (٢).

أما بالنسبة للعقل والاجتماعية والنطق فإن القرآن الكريم يقرر أن الحيوانات اجتماعية عاقلة ناطقة.

قال تعالى﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون، حتى اذا أتوا على وادي النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون..﴾ الى أن يقول سبحانه وتعالى﴿وتفقد الطير فقال: مالي لا أرى الهدهد أم كان

---

(١) سورة الاسراء: آية ٤٤.

(٢) سورة الحج: آية ١٨.

من الغائبين، لاعذبنه عذاباً شديداً أو لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين، فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾[1] ويمضي الهدهد في حديثه متعجباً من سجود البشر للشمس وعدم اهتدائهم إلى السجود ﴿لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض.. ﴾ وهكذا يبدو منطق الطير أكثر استقامة من منطق الإنسان المشرك. ولا شك أن للطير وغيره من الدواب منطقاً حيث قال سليمان ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾.

و يؤكد اجتماعية الحيوانات وعقلانيتها ولغتها قول الله عز وجل ﴿وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم[2] أمثالكم، ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[3].

أما بالنسبة لخصائص: الحرية والاختيار والمسئولية وكلها مقومات لحقيقة الابتلاء. فليس الانسان هو الكائن المبتلى والمحاسب وحده، ذلك لان الجن حسب ما جاء عنه في القرآن والسنة مخلوق مبتلى وحر ومختار فهو يفعل المعصية و يفعل الطاعة وهو يحاسب يوم القيامة على أفعاله كالانسان و يدخل الصالحون منهم الجنة و يدخل الكافرون منهم النار.

ومن ثم فليس الابتلاء أو الحرية أو المسئولية أمر ينفرد به الانسان ومن ثم فليس أحدها هو الامانة.

(١) سورة النمل: الآيات من ١٧-٢٢.

(٢) راجع كتاب الله والعلم الحديث للاستاذ عبد الرزاق نوفل.

(٣) سورة الانعام: آية ٣٨.

يبقى بعد ذلك الشهوة وهو رأي قال به بعض المفسرين القدماء ولكنه رأي متهافت ومرفوض لان الحيوانات مزودة بالغريزة الجنسية، و يتمثل سخف هذا الرأي في أنه يجعل المميز الجوهري للانسان أمراً حيوانياً فينتهي بمساواة الانسان بالحيوان (١).

أما الخلافة فهي أمر ينفرد به الانسان في الارض، ولكنها ليست الامانة حيث أنها لا تدخل الذات الانسانية كمكون جوهري بل هي مركز الانسان الوجودي و وظيفته في الكون والعلاقة بين الخلافة والامانة كالعلاقة بين الوظيفة والمؤهل والدليل على ذلك أن الله عز وجل جعل الانسان خليفة والجعل يفيد الجبر أي أنه نصبه فيه تنصيباً ولم يخيره في ذلك بينما خيره في قبول الامانة أو رفضها.

وليست الخلافة وديعة مستردة كذلك.

ولكن قد يقول قائل اذا كانت الحيوانات عاقلة ناطقة اجتماعية فما الفرق اذن بينها و بين الانسان اننا نرى الانسان ذا حضارية متطورة نامية يوماً بعد يوم وعلومه ومعارفه تنمو وتتعاظم سنة بعد أخرى بينما الحيوانات هي هي منذ أن خلقها الله عز وجل لا تقدم ولا تطور ولا تغير. أي أنها ثابتة وجامدة حضارياً ومدنياً مما دعى البعض بأنها تأتي أعمالها بالغريزة بينما الانسان يستخدم العقل؟

وللرد على هذا السؤال نقول: ان الله عز وجل خلق المخلوقات الحية

---

(١) سندرس في النظرة الإنساني بالغريزة الجنسية وصاحبها تفسر الإنسانية وكل النشاط الجزئية نظرية التحليل النفسي التي هو سيموند فرو يد اليهودي.

في الارض وجعل لكل منها مجالاً محدوداً من السيادة في الارض. فالطيور تسود الفضاء والحيتان والاسماك تسود المحيطات والبحار والوحوش تسود الغابات والنمل والحشرات تسود باطن الارض، وتبرع النحلة مثلا في صنع العسل بما يعجز انسان العصر الحديث عن صنع مثله، وتغزل دودة القز من خيوط الحرير ما لم تصل صناعة الغزل البشرية الى مستواه حتى الآن... وهكذا. ولكن سيادة الانسان عامة شاملة جعل الله له ذلك في كل الارض فضاء وبحراً و يابسة فوق الارض الصحاري والغابات وتحت الثرى أيضاً. فبالعلم غاص الانسان أعظم مما يغوص الحيتان وطار أعظم مما تطير الطيور واخترق طبقات الارض واستخرج من جوفها كنوزها وسخر ذلك لحياته. فبينما أعطى الله عز وجل كل شيء خلقه ثم هداه الى فعله أي أعطاه من العقل والمواهب والملكات والامكانات ما يحقق به الدرجة المقسومة له من السيادة وفي المجال الذي حدده له الله عز وجل بمشيئته، فإنه عز وجل قد أعطى الانسان وزوده بالعلم والاستطاعة اللازمين لتحقيق سيادته الشاملة الكلية في الارض حين علمه الاسماء وحين سخر له كل شيء في الارض وهذا هو الفارق الاساسي بين الانسان و بين الحيوانات الاخرى. السيادة الشاملة وامكانيات السيادة الشاملة. فالحيوانات عاقلة ولها منطق ولغة وهي اجتماعية كذلك ولكنها تبدو بالنظرة السطحية غير ذلك لان الله زودها بمقدار محدود من العقل والعلم يتناسب مع درجة سيادة كل منها. ولما كانت سيادة الانسان أشمل وأكمل كان عقله أوسع وأكمل وعلمه أوسع وأكثر ومن ثم ظن كثير من الناس أن الانسان هو وحده

المخلوق العاقل وهذا خطأ و باطل بنص آيات القرآن الكريم.

بناء على ما تقدم فإن خاصية من الخصائص المذكورة لا تصلح أن تكون هي الامانة لعدم توفر الشروط الثلاثة كاملة في كل منها.

وهكذا يفشل البحث العقلي المجرد في معرفة الامانة.

و يبق أمامنا معرفتها بالوحي. ومن ثم فعلينا أن نعود الى آيات القرآن الكريم التي تحدثنا عن خلق الانسان لعلنا نجد فيها خاصية تتوفر فيها الشروط الثلاثة، ومن ثم تكون هي الامانة.

نجد في القرآن الكريم ثلاث آيات ونستعين بما ورد في السنة الصحيحة بحديث شريف.

أما الآية الأولى فهي قوله تعالى: ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين، فإذا سويته، ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (١)

والثانية يقول تعالى فيها ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ﴾ (٢).

و يقول تعالى في آيات سورة المؤمنون التي تتحدث عن خلق الانسان ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار

---

(١) سورة ص: آية ٧١-٧٢. (٢) سورة السجدة: آية ٧-٩.

مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [١].

و يقول رسول الله ﷺ في الحديث الشريف (إن أحدكم ليجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح) [٢].

ولكي نتمكن باذن الله تعالى من معرفة الامانة أو جوهر الانسانية من هذه الآيات الكريمة يتعين علينا أولا أن نعرف حقيقتين قرآنيتين:

الاولى: خاصة بمصدر الحياة في الكائن الحي بعامة وفي الانسان بخاصة.

الثانية: الفرق بين الانسانية والبشرية كمصطلحين قرآنيين.

أما عن الحقيقة الاولى فإنها تصحيح لخطأ شائع بين عامة المسلمين وخاصتهم، وهو اعتقاد كثير من المسلمين بأن الروح هي مصدر حياة الانسان، فإذا عرضنا هذا المعتقد على آيات الله عز وجل لتبين لنا خطأه على الفور حيث نجد أن كلمة الروح قد وردت في القرآن الكريم بعدة دلالات هي على سبيل الحصر:

---

(١) سورة المؤمنون: آية ١٢-١٤.

(٢) رواه الشيخان.

١ ــ كاسم لجبريل عليه السلام في قوله تعالى ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ [١] وفي قوله تعالى ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا﴾ [٢] وقوله تعالى ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ [٣].

٢ ــ وردت كلمة الروح أيضاً للدلالة على كلام الله أو كوصف له، قال تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ [٤] وليس القرآن فقط هو الذي أسماه الله (روحاً من أمره) ولكن كل الكتب النازلة من عنده على رسله هي روح من أمره تعالى قال تعالى ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق﴾ [٥].

٣ ــ كذلك وردت كلمة الروح معرفة بالالف واللام دون اضافة (القدس) أو (الامين) اليها وهي تدل على كائن عظيم يخصه الله بالذكر عن الملائكة في مثل قوله تعالى ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ [٦] وقوله تعالى أيضاً ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [٧] وقوله ﴿تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر﴾ [٨].

---

(١) سورة البقرة: آية ٨٧.
(٢) سورة النحل: آية ١٠٢.
(٣) سورة الشعراء: آية ١٩٤.
(٤) سورة الشورى: آية ٥٢.
(٥) سورة غافر: آية ١٥.
(٦) سورة النبأ: آية ٣٨.
(٧) سورة المعارج: آية ٤.
(٨) سورة القدر: آية ٤.

٤ ـ وأخيراً وردت كلمة الروح مضافة الى الله عز وجل إضافة ملكية ـ وليس للتعبير عن ذات الله كما يظن البعض خطأ ـ في موضوعين في القرآن يتحدث فيهما الله عز وجل عن خلق الانسان هما قوله تعالى ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي..﴾ (١) و﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ (٢) فالروح هنا منسوب إلى الله عز وجل نسبة ملكية لأنه كائن مملوك لله ككل شيء في الكون وليس المنسوب إلى الإنسان ـ حسب دلالة هاتين الآيتين ـ سوى النفخة الالهية الكريمة.

٥ ـ وأخيراً وردت كلمة (الروح) في قوله تعالى: ﴿و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (٣).

مما تقدم يتبين لنا أن الروح ليست منسوبة للانسان وانما المنسوب للانسان هو النفخة الالهية الكريمة، واذا نسبنا للانسان روحاً ـ تجاوزاً ـ فإنما يكون ذلك باعتبار أنه الشيء الغيبي الذي يتلقاه ابن آدم بالنفخة الالهية الكريمة من الروح وهو ما نطلق عليه روح الانسان، وليس هو الروح الذي تتحدث عنه الآيات السابقة.

والنتيجة الأهم هي أن النفخة الالهية الكريمة في الانسان من روح الله ليست هي مصدر حياة الانسان. حيث ليس في الآيات السابقة ما يدل على هذا المعنى إطلاقاً، حيث أن كل ما تثبته الآيات هو أن الله عز وجل يسوي الانسان و ينفخ فيه من روحه. فإذا قال قائل ينفخ فيه من

---

(١) سورة الحجر: آية ٢٩.
(٢) سورة السجدة: آية ٩.
(٣) سورة الاسراء: آية ٨٥.

روحه يعني يحييه أو يعطيه مصدر الحياة، قلنا أن هذا تأويل عقلي لا يدل عليه سياق الآية أو معاني ألفاظها فالذي يستنبط هذه النتيجة من الآيات السابقة متزيد ومخطىء في استنباطه.

فإذا كانت الروح ليست مصدر حياة الانسان فما هو اذن مصدر حياة الانسان كما يدل عليه القرآن.؟

اذا عدنا الى آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الموت والحياة أو عن الامانة والاحياء لوجدنا أن مصدر حياة الكائن الحي هو النفس، وأن سبب موت الانسان هو خروج هذه النفس من جسده، وليس خروج الروح. والآيات الدالة على ذلك كثيرة نأخذ منها ﴿.. أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ [1] وقوله تعالى ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ [2].

وقوله تعالى ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ [3]. وقوله أيضاً ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها﴾ [4]. الآيات السابقة تدل على أن سبب حياة الإنسان ومصدر حياته هو النفس. وفي بيان سبب الموت نجد آيات كثيرة تدل على أن السبب هو خروج هذه النفس ومفارقتها للجسد فالنفس هي مصدر النشاط الإنساني الحيوي، وهي التي يقع

(١) سورة المائدة: آية ٣٢.
(٢) سورة الطارق: آية ١٤.
(٣) سورة يس: آية ٣٦.
(٤) سورة الاعراف: آية ١٨٩.

عليها الموت ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ [١] وقوله أيضاً ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [٢] أي حين نومها. فالذي يتوفاه الله هو النفس وليست الأرواح.

وقوله تعالى ﴿قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ [٣].

وقوله تعالى ﴿يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ [٤].. فالذي يرجع إلى الله عز وجل ساعة الوفاة أو بعد الوفاة هو النفس، وليس خروج النفس من الجسد، وليس رجوعها إلى ربها أمراً خاصاً بالمؤمن فقط. وإنما هو أيضاً واقع بالنسبة للكافر إلا أنه لا يرجع إلى ربه وإنما هو يحجب عنه ولا تفتح له أبواب السماء، قال تعالى مبيناً خروج نفس الكافر ساعة الوفاة ﴿.. ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم: أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ [٥] فملائكة الموت تقول لهم أخرجوا أنفسكم فلا تخرج فيخرجونها عنوة وقسراً. وفي ذلك دلالة واضحة صريحة على أن الذي يخرج من الجسد و يسبب الموت هو النفس، ولم

(١) سورة لقمان: آية ٣٤.
(٢) سورة الزمر: آية ٤٢.
(٣) سورة آل عمران: آية ١٦٨.
(٤) سورة الفجر: آية ٢٧.
(٥) سورة الانعام: آية ٩٣.

ترد آية واحدة تذكر خروج الروح كسبب للموت، مما يدل على أن مصدر حياة الإنسان هو النفس.

فإذا أضفنا ما استنبطناه من آيات الروح الى هذا الاستنباط الأخير قررنا باطمئنان أن النفس لا الروح هي مصدر حياة الانسان.

أما بالنسبة للحقيقة الثانية ونعني بها الفرق بين البشرية والانسانية في القرآن الكريم، فيمكننا أن نعرف البشرية بأنها تعني الخصائص الحيوية عند الانسان والتي هي أحوال له باعتباره كائناً حياً ومن ثم يشاركه فيها الحيوانات الأخرى. أي أنها ــ بتعبير علمي ــ الخصائص (البيولوجية والفسيولوجية) عند بني آدم. منها التكوين الجسدي للكائن الحي من أعضاء ولكل عضو وظيفة تساهم في استمرار الحياة، ومثل الغرائز كغريزة الاكل والنوم والغريزة الجنسية وغير ذلك. ومن ثم لا نكاد نجد آية قرآنية واحدة ترد فيها كلمة بشر إلا اذا كان موضوع الآية هو حالة من الحالات البيولوجية أو الفسيولوجية لبني آدم مثل ذلك قوله تعالى ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد، أفئن مت فهم الخالدون ﴾ (١) لأن الموت هو من خصائص البشرية عند آدم وليس من خصائص الإنسانية. وكذلك قوله تعالى مخبراً عن مقالة الكافرين ﴿ ...ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ﴾ (٢) وبالنسبة للغريزة الجنسية واعتبارها من الخصائص البشرية ﴿ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني

---

(١) سورة الانبياء: آية ٣٤.

(٢) سورة المؤمنون: آية ٣٣.

بشر ولم أكن بغياً ﴾(١) وهكذا لا نكاد نجد آية تتحدث عن بني آدم مستخدمة كلمة بشر إلا و يكون موضوع الآية الرئيسي هو حالة من حالات بني آدم الحيوية.

أما الانسانية كمصطلح قرآني فهو يعني الخصائص العليا التي يتمتع بها بنو آدم ولا توجد عند الكائنات الحية الأخرى، فكل ما هو مشترك بين الانسان والحيوان من أحوال وخصائص ليس من الانسانية. ونكاد لا نجد آية في القرآن تستخدم كلمة انسان إلا و يكون موضوع الآية الرئيسي هو خاصية من خصائص الانسان التي ينفرد بها عن الحيوان، مثال ذلك ﴿خلق الإنسان، علمه البيان﴾ [٢] والبيان هو التعبير الراقي الدقيق سواء كان نثراً أو شعراً أو فناً وذلك للإنسان وحده وإن كان للحيوانات لغتها ومنطقها، لكنه لا يصل إلى مستوى البيان. وقوله تعالى ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [٣] فعلم الأسماء الذي أعطى الإنسان مؤهل السيادة الشاملة خاصية إنسانية لا يشارك الإنسان فيها غيره.. وقوله ﴿فلينظر الإنسان مما خلق﴾ [٤] فيه دعوة للنظر والتأمل والبحث واستنباط العظة والعبرة وهذا عمل إنساني وليس عملاً بشرياً.

وقوله تعالى ﴿...إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه﴾ [٥]

---

(١) سورة مريم: آية ٢٠.

(٢) سورة الرحمن: آية ٣.

(٣) سورة العلق: آية ٥.

(٤) سورة الطارق: آية ٥.

(٥) سورة الإنسان: آية ٢.

بيان للحكمة من خلق الإنسان وهي الابتلاء، فالابتلاء حالة انسانية عند بني آدم وليس حالة بشرية، لأن الكائنات الحية الأخرى ليست مخلوقة للابتلاء.

وقوله تعالى ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾[1] اشارة إلى الجزاء والمسؤلية وهي خاصة بالإنسان.

وهكذا.. مما يثبت أن الانسانية تختلف عن البشرية وان كانت الانسانية والبشرية يجتمعان في كائن واحد وذات واحدة هي الذات الآدمية. ولكن البشرية هي أحوال آدمية تتناظر مع الحيوانية أو هي تكاد تكون في مستواها بينما الانسانية هي حالات عليا وسامية لبني آدم أو هي خصائص ترتفع بابن آدم الى مستوى وجودي أرفع وأكرم من مستوى الحيوان، فالابتلاء والمسئولية والجزاء والعلم والسيادة والبيان والحرية وغير ذلك كلها انسانية وليست خصائص بشرية.

والآن نعود لآيات خلق الانسان الثلاثة في محاولة لاستنباط أو معرفة مصدر الانسانية منها، بالاستعانة الى الحقيقتين السابقتين، ونعني بهما حقيقة مصدر الحياة وحقيقة البشرية والانسانية.

قال تعالى﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته، ونفخت فيه من روحي، فقعوا له ساجدين﴾ في هذ الآية يبين الله عز وجل أنه سيخلق آدم أولا بشراً حيث لم يقل﴿إني خالق انساناً﴾ مع أن النتيجة النهائية لعملية الخلق هي آدم الانسان وليس آدم البشر

(١) سورة الاسراء: آية ١٣.

فقط ولما كانت البشرية غير الانسانية ــ كما علمنا ــ فإن ورود لفظ (بشر) له دلالته بل دلالاته منها أن الطين هو مصدر البشرية عند بني آدم وأن الله عز وجل خلق آدم على مرحلتين، وهو عز وجل قادر على أن يخلقه بكلمة كن ولكنه شاء أن يخلقه هكذا للتكريم ــ الاولى في قوله تعالى ﴿ فإذا سويته ﴾ والثانية في قوله تعالى ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾.

والسؤال الهام الآن هو ماذا صار آدم بعد المرحلة الاولى أي بعد أن سواه الله؟ البعض يظن أن آدم أصبح بالتسوية مجرد تمثال من طين لا حياة ولا حركة فيه. وهذا خطأ حيث يفسر هؤلاء التسوية ليس من دلالة اللفظ اللغوية ولكنهم ينطلقون في تفسيرهم هذا من أن النفخة الالهية الكريمة هي مصدر الحياة فيقولون بما أن الروح هي مصدر حياة الكائن الحي وبما أن الله عز وجل بعد التسوية لم ينفخ الروح بعد في الطين فإن التسوية تعني تشكيل الطين تمثالا على هيئة البشر المعروفة ولما نفخ الله فيه من روحه دبت الحياة في الطين وصار آدم انساناً.

وهذا التفسير مرفوض للاسباب الآتية:

١ ــ التسوية في اللغة تعني تمام صنع الشيء أو تمام الفعل.

٢ ــ الضمير الغائب في سويته (الهاء) عائد على (بشراً) في الآية. مما يجعل المخلوق بالتسوية آدم البشر وليس آدم الانسان.

٣ ــ ليست الروح مصدر حياة الانسان وقد ثبت لنا بطلان هذا القول وثبت لنا أن النفس هي مصدر حياة الانسان.

وعلى ذلك فإن قوله تعالى. فإذا سويته يعني فإذا أتممت خلقه بشراً سوياً كامل الحياة فيه قلب ينبض ورئة تتنفس وعين ترى وأذن تسمع. ومصدر ذلك كله عند آدم البشر في المرحلة الاولى من خلقه هو النفس.

فإذا تبين لنا هذا فإنه يتحتم علينا أن نسأل عن المرحلة الثانية في خلق آدم أي عن النفخة الالهية الكريمة ماذا أعطى الله بها لآدم، اذا كان حياً قبل أن يتلقاها، وهنا تجيء الاجابة الواضحة بأن النفخة الالهية الكريمة هي التي رفع الله بها عز وجل آدم من مستوى البشرية الذي كان فيه مجرد كائن حي الى مستوى الانسانية الذي هو أحسن تقويم.

وعلى ذلك تكون النفخة الالهية الكريمة أو الروح هي سر الانسانية وهي جوهر الانسان وحيث أن آدم تلقاها وهو حي فإنه يمكن أن تضيع منه وهو حي.

فإذا اختبرنا الروح بالشروط الثلاثة التي اشترطناها في الخاصية لتكون هي الامانة، وجدنا أن هذه الشروط تنطبق عليها.

فهي أولا تدخل كجزء جوهري من الكينونة الانسانية بل هي أساس ماهية الانسانية ومصدر الانسانية. وهي ثانياً شيء قابل للضياع وللمحافظة عليه لأن الانسان تلقاها وهو حي ومن ثم فهو يفتقدها اذا فقدها أو ضيعها و يظل حياً. وهي ثالثاً أمر غيبي ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ وتخص الانسان وحده ولا يشاركه فيها غيره من المخلوقات حتى الملائكة فلم يخلق الله مخلوقاً بالنفخة الالهية سوى الانسان.

ومن ثم يمكن القول بأن الامانة هي الروح وقد يعترض معترض بأن الامانة أمر فردي يتلقاها كل فرد من أبناء آدم حيث أن الحساب والجزاء فردي ومن ثم فلا يجوز أن يحمل آدم الامانة وحده ثم يحاسب كل فرد من أبنائه على شيء لم يحمله، وهذه الآية السابقة تتحدث عن الروح كأمانة حملها آدم وارتفعت به من مستوى البشرية الى مستوى الانسانية.

وهذا الاعتراض مرفوض حيث أن القرآن يثبت أن الامانة أمر فردي، حمله كل ابن من أبناء آدم. وحدثنا القرآن الكريم عن خلق أبناء آدم بمرحلتي التسوية ومرحلة النفخة الالهية الكريمة كآدم سواء بسواء.

فقال تعالى﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه...﴾.

فقوله: ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾دليل على أن الآية تتحدث عن خلق أبناء آدم ثم قال﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ فالتسوية والنفخة الالهية الكريمة مرحلتان يخلق بهما الله ابن آدم في رحم أمه. وليس كما يرى البعض أنهما مرحلة واحدة ويستدلون على هذا بقوله تعالى﴿ونفخت﴾ ولم يقل ﴿ثم نفخت﴾ حيث ــ كما يقول أصحاب هذا الرأي (ثم) تفيد التعاقب والتراخي في الزمن بين التسوية والنفخة وبعكس حرف (و) الذي يفيد المعية. ولكن للرد على ذلك نعود للقرآن الكريم ونسأل عن معنى (سواه) حيث يأتي هذا المعنى كما تأتي مراحل

التسو ية تفصيلا في قوله تعالى﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً.﴾ هذه هي مراحل التسو ية نطفة، علقة، مضغة، عظام ثم تنتهي هذه المراحل بأن تكسى العظام لحماً. والى هنا تتمـاثل مراحل التكو ين أجنة الحيوانات العليا (الثدييات) مع مراحل تكون أجنة بني آدم.

ومنذ بدء تكو ين الجنين أي منذ مرحلة النطفة (البو يضة الانثو ية الملقحة بالحيوان المنوي للذكر) و بعد تعلق هذه الخلية بجدار رحم الام، نقول أنه منذ البدء وهذا المخلوق كائن حي ودلالة حياته التغذي والنمو حتى أنه بعد أن كان خلية حية لا ترى بالعين المجردة أصبح في حجم المضغة أي قطعة اللحم الصالحة للمضغ ثم يخلقه الله طوراً بعد طور حتى يأخذ هيئة والديه الجسدية بعد أن يكسو الله العظام لحماً.

ثم بعد ذلك يقول الله عز وجل﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ ولا يملك المرء إلا أن يسأل: ماذا كان، ثم ماذا صار؟. ان الله سبحانه وتعالى يقرر أنه أنشأ من هذا المخلوق أو من هذا النوع نوعاً آخر، يختلف عن النوع الاول تماماً، وهذا واضح من قوله﴿ثم أنشأناه﴾ومن قوله﴿خلقاً آخر﴾ فإذا سألنا ماذا كان الجنين قبل الانشاء الجديد، ثم ماذا صار بعده؟. وبماذا أنشأه الله الى ما صار اليه.؟

فليس أمامنا سوى القول بأنه كان بشراً بالتسو ية التي بدأت بالنطفة وانتهت باكتساء العظام باللحم. وهي المرحلة الاولى التي صار

بها آدم كائناً حياً فقط أي بشراً، ثم صار انساناً أو بتعبير أدق ارتفع من مستوى البشرية الى مستوى الانسانية الافضل والاكرم والارقى والاسمى، أي الى أحسن تقويم فكان بشراً فقط وصار بشراً انساناً وهذا هو الانشاء الجديد الذي نقله به الله من خلق الى خلق آخر.

وبماذا نقله الله هذه النقلة العظيمة وبم رفعه الله الى هذا المستوى الاكرم.؟

هنا يأتي حديث رسول الله ﷺ الصحيح ليجيب على هذا السؤال (ان أحدكم ليجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح..)(١) فبعد الأربعين الثالثة أي بعد عشرين يوماً بعد المئة من بدء تكوين العظام قد كسيت لحماً في آخر الأربعين الثالثة، (ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح) فالنفخة الالهية الكريمة من الروح في الجنين هي بعد التسوية وهي بلا شك تدخل عليه وهو حي حيث هو حي منذ بدء تكونه كجنين. وعلى ذلك فليست الروح هي مصدر الحياة ولم ينفخها الملك بأمر الله عز وجل لكي تعطي الجنين الحياة فهو حي من قبل ولكن نفخها فيه لكي تعطيه شيئاً آخر هو الإنسانية، لكي ينشأه الله بها خلقاً آخر أي لكي ينقله من مستوى البشرية إلى مستوى الإنسانية.

وهكذا يثبت لنا أن النفخة الالهية الكريمة تأتي في مرحلة تالية في الزمان بعد التسوية حيث أن التسوية تتم خلال مائة وعشرين يوماً.

---

(١) رواه الشيخان.

وهذا يرد على الاعتراض القائل بأن النفخة مصاحبة للتسو ية في الزمان بدليل ورود حرف الواو وعدم ورود حرف ثم في قوله تعالى﴿فإذا سو يته ونفخت فيه من روحي﴾.

وهذ أيضاً يدل على أن آدم عندما سواه الله كان بشراً حياً قبل أن ينفخ فيه الروح كما أن الجنين كان حياً قبل أن ينفخ فيه الله الروح.

فإذا اختبرنا الروح بالشروط التي اشترطناها في الخاصية لكي نحكم بأنها الامانة وجدنا الآتي:

أولا: انها أمر ينفرد به الانسان ولا يشاركه فيه غيره حيث أن الله لا ينفخ الروح في أجنة الحيوانات ولم يرد ما يثبت ذلك.

ثانياً: إن بني آدم يتلقون الروح وهم أحياء ومن ثم إذا فقدها أو ضيعها بعضهم فإنهم لا يموتون بل يظلون أحياء. فهي بذلك وديعة مستردة قابلة للضياع وللمحافظة عليها.

ثالثاً: تدخل الروح كقوة في الكينونة الآدمية حيث هي سر الانسانية ومصدرها فيها.

رابعاً: والامانة كما قلنا وديعة مستردة. قبل الانسان حملها في لحظة تخيير في مرحلة وجودية غيبية فهي أمانة غيبية والروح أمر غيبي.

خامساً: اذا حافظ ابن آدم على الامانة (الروح) ظل انساناً في أحسن تقويم. واذا فقدها ارتد الى مستوى البشرية الذي هو في مستوى الحيوانية أو الى مستوى أدنى وأسفل من ذلك كل حسب عمله.

وهذا يثبت أنها الامانة وأنها سر الانسانية ومصدرها.

وهنا نسأل كيف يحافظ الانسان على الامانة وكيف يضيعها؟

* يحافظ عليها بتحقيق عبوديته لله واقامة التكليف وتأدية رسالته التي خلقه الله من أجلها وهي اقامة خلافته لله في الارض. وكل ذلك يتم بطاعة الله. و يضيعها بالكفر والشرك وارتكاب المعاصي والكبائر وتحقيق عبوديته وخلافته لغير الله عز وجل فإذا ضيع ابن آدم روحه أو مصدر الانسانية فإنه لا يموت ككائن حي، حيث مصدر حياته ككائن حي هو النفس، بل يظل حياً، وانما يموت فيه الانسان. ومن ثم يرتد مرة ثانية الى البشرية التي رفعه الله منها الى الانسانية عندما نفخ فيه من روحه. أي أنه لا يصبح بعد تضييعه الروح انساناً، بل يصبح بشراً فقط، أي في مستوى الحيوان. ولذلك وصفهم الله عز وجل في القرآن بقوله ﴿ والذين كفروا يتمتعون و يأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم ﴾[1].

وقال تعالى أيضاً ﴿ أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾[2].

وقال عن الكافرين أيضاً ﴿ إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا ﴾[3].

---

(١) سورة محمد: آية ١٢.

(٢) سورة الاعراف: آية ١٧٩.

(٣) سورة الفرقان: آية ٤٤.

وبذلك يتضح لنا معنى قوله تعالى ﴿لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ [1].

فعندما يفقد الانسان سر الانسانية فإنه يرتد أسفل سافلين، وهذا يدل على أن ابن آدم لم يبدأ حياته كإنسان بل كان كائناً حياً فقط ثم رفعه الله الى أحسن تقويم فإذا كفر أو أشرك ضاع منه سر التقويم الأحسن فارتد مرة ثانية أسفل سافلين ولو لم يكن الامر كذلك لما قال تعالى ﴿ثم رددناه﴾ ولكان استخدم لفظ ثم حططناه أو سفلناه أو أنزلناه، لان رددناه يعني أعدناه الى ما كان عليه من درجة وجودية هابطة متسفلة أحط من الدرجة التي رفعناه اليها أي الى أحسن تقويم. كما يصف الله عز وجل الكافرين بأنهم موتى القلوب لان النفس هي مصدر حياة جسد الانسان أما الروح فهي مصدر حياة قلبه، ومضيع الروح ميت القلب قال تعالى ﴿ انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين﴾ [2] والله هو محي القلوب. كما أنه هو محي الاجساد ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ [3].

إن ساعة وفاة العبد هي ساعة تسليم الامانة وبذلك فإن المؤمن هو الذي يحافظ على روحه ومن ثم تصعد نفسه تنيرها الروح وترجع الى ربها

---

(١) سورة التين: آية ٤-٦.

(٢) سورة النمل: آية ٨٠.

(٣) سورة الانعام: آية ١٢٢.

راضية مرضية أما الكافر الذي ضيع الامانة وفقد الروح فإنه عندما يموت فإن نفسه فقط تخرج من جسده مظلمة معتمة خبيثة ليلقى جزاءه على إفساد ذاته والافراط في أمانته.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مِن منشوراتنا

ـ مقومات المجتمع المسلم	**فاروق أحمد الدسوقي**
ـ استخلاف الانسان في الأرض	**فاروق أحمد الدسوقي**
ـ الانسان والشيطان	**فاروق أحمد الدسوقي**
ـ اخلاقنا الاجتماعية	**مصطفى السباعي**
ـ اقتضاء العلم والعمل	**الخطيب البغدادي ـ الألباني**
ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	**عبد المعز عبد الستار**
ـ انسانية الثقافة الاسلامية	**عدنان زرزور**
ـ التربية الاسلامية والمشكلات المعاصرة	**عبد الرحمن النحلاوي**
ـ التقوى	**صلاح الدين مارديني**
ـ تهذيب الأخلاق	**عبد الحي الحسني الندوي**
ـ الدروس الوعظية في الآداب النبوية	**قاسم الشماعي الرفاعي**
ـ الدستور القرآني والسنة النبوية في شؤون الحياة	**محمد عزة دروزة**
ـ فوائد قرآنية	**عبد الرحمن السعدي ـ الشاويش**
ـ قصة الايمان	**نديم الجسر**